

درااما الصللب

مقدمه:

هذه الشخصيات و الاماكن وأمور أخرى..هي عبارته عن عظات قصيره ألقيت في أسبوع الالام..وبالتحديد في البسخه التي تقام في الحاديه عشر ليلا ويشترك فيها قرابة الالف شخص.. وذلك بكنيسه القديس أنطونيوس بالمنيا خلال السنوات من ٢٠٠٥-٢٠٠٩م.

وكان الغرض منها التفاعل بشكل اكبر مع أحداث أسبوع البسخة المقدسة .. وقد قمنا بطبايعها هنا عل قرائتها في أسبوع الالام تعين القارئ في فهم ملابسات هذا الاسبوع الكبير ..حيث قدم السيد المسيح فداء ثمين ..لا سيما وان الشعب يدخر أفضل وأرقى مشاعره ليسكبها عند قدمي المسيح في هذه المناسبه والتي تختلط فيها مشاعر الناس مابين الالم و الحزن علي آلام المسيح الجسديه و النفسيه ..ومابين الفرح الكبير بالخلاص الذي أنتظرته البشرية جمعاء..

إن جميع الاشخاص الذين تلامسوا مع صليب المخلص ..سواء بشكل إيجابي او سلبي ..كان هذا التلامس هو اعظم حدث جري لهم في حياتهم .. بعضهم دخل التاريخ من خلاله كشيرير خالد والبعض الاخر كبار خالد.. كذلك الأشياء و الأدوات التي تلامست مع الصليب صارت أغلي وأغني وأهم الأشياء بسبب ذلك ..فالمسامير التي صلب بها الرب صارت أثمن قطعة حديد في الوجود.. كذلك الخشب و المطرقة و الشوك..كذلكتقدست دار الولاية و الجلجثة وبيت حنان وقيافا و البستان والعليه وأعطى السيد المسيح لكل هؤلاء وهذه الادوات قيمه وأهميه..

الصوم الكبير
فبراير ٢٠١٠

مكارىوس
الأسقف العام

الفصل الاول: اسبوع الالام..كيف نستعد وكيف نسلك فيه؟

سميت الأيام التي تألم فيها السيد المسيح و صلب ب "أسبوع الالام " لأنه يبدأ من السبت (سبت لعازر) الي السبت الاخر (سبت الفرح).. ويسمي أيضا الأسبوع المقدس Holy week والأسبوع الكبير.. وهكذا سمي كل يوم من أيام هذا الأسبوع بالكبير: الخميس الكبير والجمعة الكبيرة وهكذا. مثلما سميت ايضا الأيام مقرونه بالسبحة: اثنين السبحة وثلاثاء السبحة..

فقد بدأ التآمر علي السيد منذ إقامة لعازر ،وقد استشعر رؤساء اليهود بالخطر وعبروا عن ذلك بالقول : "إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به، فيأتي الرومانيون ويأخذون أمتنا" ومن ثم عقدوا مجمعا لمناقشة الامر ليقرروا ما يفعلونه

وقد حاول اليهود قبل ذلك مرارا أن يلقوا عليه أيديهم ولكنهم فشلوا لأن ساعته لم تكن قد جاءت كما سبق هو وقررها ، كما ان السيد المسيح رفض أن يموت إلا صلبا وهكذا فشلوا فيأن يرحموه أكثر من مره: "فرفعوا حجاره ليرجموه اما يسوع فأختفي وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم ومضي هكذا" ..أو يلقوه من فوق قمة الجبل "فقاموا وأخرجوه خارج المدينة، وجاءوا به إلي حافه الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليها حتي يطرحوه الي اسفل .اما هو فجاز في وسطهم ومضي " ،إلي هذا يشير القديس يوحنا قائلا "وكان قوم منهم يريدون ان يمسكوه ولكن لم يلق أحد عليه الايادي"

و لكن عندما جاءت الساعة عبر الانجيل عن ذلك بقوله "اما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم الي الآب إذ كان قد أحب خاصته اللذين في العالم ، احبهم حتي المنتهي.." هذا وقد فكر اليهود عمليا في قتله يوم الاحد وذلك بسبب هتاف الشعب له و إستقبالهم له كملك..

والبسحه: وهي كلمه عبريه تعني "عبور" ومنها الكلمه الانجليزيه Passover وتعني الفصح أو العبور : "ويكون لكم الدم علامه علي البيوت التي أنتم فيها فأري الدم وأعبر عنكم" .. وعن المسيح الفصح الحقيقي يقول القديس بولس "لأن فصحنا ايضا المسيح قد ذبح لأجلنا" هكذا نحن من خلال الالام السيد المسيح ودمه الاقدس عبر عنا الموت..

أما البدايه : فقد اشار إليها القديس متي قائلا "ثم أخذ معه بطرس و إبنى زبدي وابتدأ يحزن و يكتبب" وورد في انجيل القديس مرقس " فابتدوا يحزنون ويقولون له واحدا فواحدا <<هل انا>> وآخر <<هل أنا>> ويعد أسبوع الالام أهم أسبوع في السنه كلها فإذا كان الصوم الكبير هو أهم موسم في السنه، فإن اسبوع الالام هو أقدم أيام هذا الموسم ، لذلك فهو بالتالي أقدم أيام السنه كلها .. وقديما كانوا يحتفلون به مرة كل ثلاثة وثلاثين عاما ، حتى إنتبه أحد البطاركه إلي أن الأحتفال به سنويا ، بل وضم أسبوع الالام علي الصوم ..كان الصوم عقب المعمودية "عيد الغطاس" و الفصح في وقت آخر، إلي أن إنضم الصوم إلي البسحه وليس العكس.

ولكن لماذا هو أهم أيام السنه كلها؟

أولا من جهة أحداثه:

فهذه أهم مرحلة من مراحل الخلاص .وأكثرها دقة ،بما فيها العشاء الرباني ، وخيانة التلميذ ، وهياج اليهود، ودراما الصلب، والمحاكمة امام رؤساء الكهنه ثم بيلاطس أكثر من مره، وهيرودس ، وهياج الرعاع من الشعب، سخرية رؤساء الكهنه ،وبكاء نساء اورشليم ،وصلب الرب، والاحداث التي رافقت ذلك ..هروب التلاميذ ، وإنكار بطرس، حلم بروكولا ، ثورة الطبيعة ، إنشقاق حجاب الهيكل ، تحرك يوسف ونيقوديموس ، عمليه الدفن ، القيامه المقدسه..

ثانيا: من جهة قراءاته:

وحتي القرن الحادي عشر كان الكتاب المقدس يقرأ بكامله في الكنيسة خلال الاسبوع ، فالكتاب المقدس هو موضوع حب الله للإنسان و فدائه ، هو وحده واحده فإذا قريء بكامله خلال هذا الاسبوع تمثل أمام أعين المصلين القصة بكاملها ، وفي قرائتها تتدرج الكنيسه حتي تصل الي الذروة بصلب الرب وموته لتختتم بسفر

الرؤيا سفر تكليل الكنيسة .. وظل هذا النظام معمولاً به حتي جاء البابا غبريال وإختار بعض الفصول فقط تخفيفاً علي الشعب والذي لم يعد قادراً علي التواجد طوال الاسبوع كما كانوا يفعلون من قبل حيث كانوا يلزمون الكنيسة من الأحد للأحد .

ثالثاً : من جهة الألحان:

رتبت الكنيسة أرق وأعذب الألحان لهذه المناسبة الفريدة ، وأشدها تبكيتاً وتأثيراً بحيث يبكي لها السامع و يعزي معاً (متي كان الخورس جيداً) ، تشاركنا هذه الألحان مع السيد المسيح في الآله ، فنحن نبكيه من جهة ومن جهة أخرى نبكت أنفسنا لأننا تسببنا في آله وموته .. فنبكيه ونبكي أنفسنا ، تماماً مثلاً يحدث عندما نرد علي الكاهن "كيريليسون" أثناء القسمة، حيث يأتي لحناً حزينا باكياً ، وكأني بالشعب يتوسل الي الله ان يغفر له خطايه التي سببت له هذه الآلام (حيث يشير تقسيم الجسد الي الآم المسيح)

وفي لحن "فاني إيطاف انف" والذي يقال يومي الخميس و الجمعة ، يقول اللحن " هذا الذي أصعد ذاته ذبيحه مقبوله علي الصليب عن خلاص جنسنا " ويلاحظ في اللحن ان السيد المسيح أصعد ذاته بإرادته وحده عنا كلنا ، وفي لحن "تاي شوري" والذي يقال في الساعة السادسة من يوم الجمعة يقول اللحن "المجمره الذهب النقية الحاملة العنبر في يد هارون الكاهن يرفع بخوراً" ، ويقال في هذا الوقت بالذات لأن المسيح يكون مرفوعاً علي الصليب كرئيس الكهنه الاعظم والحقيقي يرفع ذبيحة نفسه عن العالم كله فهو الذبيحة و الكاهن معاً. ثم لحن "تي شوري" والذي يقال في الساعة التاسعه حيث أسلم يسوع الروح ، يقول اللحن "المجمره الذهب النقي هي العذراء وعنبرها مخلصنا ولدته وخلصنا وغفر لنا خطايانا " و المناسبة هنا دقيقة وتختلف عن مناسبة اللحن السابق فالمسيح هنا أكمل الفداء قائلاً "قد أكمل" فتم الخلاص وهكذا إستم الآب رائحه السرور ، ثم لحن "بيك اثرونوس" والذي يقال مرتين إحداها يوم الثلاثاء و الثانيه يوم الجمعة ، يقول اللحن "عرشك ياالله إلي دهر الدهور" حيث العرش هو الصليب " الرب ملك علي خشبه" ويلاحظ في نغمات اللحن انه يبدأ بالحزن الشديد وينتهي بإيقاع النصر و الفرح . ثم لحن "ثوك تي تي جوم" والذي نرده طوال ساعات البصخة " لك القوه والمجد والبركة و العزه الي الابد امين " لنؤكد انه ليس مهزوما حتي وإن كان له مظهر الضعف ولذلك تؤكد بقيه الألحان انه أصعد ذاته علي الصليب ، وفي لحن آخر هو "اومونوجينيس" نقول "قدوس الله يامن أظهر بالضعف ما هو أعظم من القوه " وفي لحن "غولغوثا" نقول له "بسطة يدك" اي صليت بإرادتك ، وغيرها كثير من الألحان والتي تحتاج الي كتاب خاص يقدم تاريخها ومحتواها اللاهوتي و نغماتها و تأثيرها.

من جهة النسك:

اعتاد الاقباط في العصور الاولى ان يصوموا الصوم الكبير بنسك شديد وان يقضوا اسبوع الآلام كله منقطعين عن الطعام باستثناء المرضي منهم ، ومع ضعف الجسد وقله الجهاد صاموا يومين يومين علي ان ينقطعوا عن الطعام من بعد قداس خميس العهد وحتى قداس عيد القيامة ، وكانت العاده والي وقت قريب جدا ان يكتفوا بالسلوق من الخضر ، وفي بعض الأديره (مثل دير أنبا صموئيل) كان الأباء لا يوقدون ناراً خلال هذا الاسبوع ، وفضل المدبرون الروحانيون ايضاً ضبط النفس تجاه الحلوي و المرطبات وما صار عادة مثل الشاي و القهوة .. كأن لسان حالهم يقول "مع المسيح صلبت" وفي بعض القرى لاحظت ان النسوه يرتدون الثياب السوداء طيلة الاسبوع وليس داخل الكنيسة فقط (وهذا من قبيل تصوير ماضي البشرية المظلم من جهة وتألماً مع المسيح من جهة أخرى) كما يمتنعن عن الزينه والحلي كذلك يلتزم المتزوجون ضبط النفس ان لم يكن خلال الصوم كله — وهذه وصيه الكنيسه — فعلي الأقل خلال الأسبوع الاخير.. كذلك لا تقيم الكنيسه سر الزيجه او الخطوبات وبالتالي لا حفلات ولا تنزه إذ كيف يمكن أن يخرج أحد للنزهة والكنيسه تبكي مخلصها مرافقه إياه ساعة بساعة

التدبير الشخصي:

تتوقف الكنيسه عن صلاه الاجبيه خلال أسبوع الآلام فأكثرها مزامير وهاهي المزامير تصلي في الكنيسه ملحنه وبالتالي نصلي في المخدع تسبحه "ثوك تي تي جوم" اثني عشر مرة في ساعات الاجبيه ، مع الميطانيات والتي تحدد بمعرفة الاب الروحي .. وكذلك القراءات والتي تشمل عادة سفر إشعياء النبي مع الاناجيل الاربعه ، الي جانب قراءات اخرى حول أحداث الاسبوع .. ومن الضروري ان يحضر المصلي الي

الكنيسة ومعه كتاب البسمة الخاص به مع قلمه ينصت ويتابع القراءات جيدا ويضع ملاحظاته وتأملاته وان
امكن وبقدر المستطاع لا يتكلم مع الاخرين لا في العمل ولا في المنزل ولا مع الاصدقاء ، فالفكر
كلهوا المشاعر و الوقت كلها مكرسه للفادي و المخلص.
في طقس الكنيسة:

تحتفل الكنيسة بالبسمة المقدسه من ليله الاثنين. وتتوقف ممارسه الاسرار ولا تقترب من الهيكل الا في
صباح خميس العهد حيث يقدم المسيح جسده و دمه عن حياه العالم، ويشرح هذا الطقس الذي يأتي عرضا
قصة الفداء وكيف قدم المسيح جسده المكسور عنا ولا نصلي الاجبية ايضا لأن أكثرها تنبأ عن الرب
وهاهي النبوات تتحقق، ونسير مع المسيح خطوه بخطوه ، فلما صام صمنا ولما صلي صلينا وعندما تألم
تألما معه.. وبعد الي مجد يأخذنا.....

الفصل الثاني: عليه صهيون

(مرقس ١٤: ١٥، لوقا ٢٢: ١٢، أعمال ١: ١٣)

هي المكان العلوي في بيت القديس مرقس الرسول، والتي جري فيها العديد من الاحداث بالغة الأهمية أيام السيد المسيح بخلاف أحداث أخرى في الكنيسة الاولى ، فهي المكان الذي غسل فيه الرب أرجل تلاميذه ثم أسس الإفخارستيا وهي كذلك المكان الذي إختبا فيه التلاميذ بعد الصلب حيث ظهر لهم الرب وكذلك حلول الروح القدس علي التلاميذ والسيدة العذراء وجمع يصل الي منه وعشرين شخص

لفظه "عليه" وهي شائعة الإستخدام في العهدين القديم و الجديد .. تطلق علي الدور العلوي من البيت اليهودي بشكل عام .. وغالبا ما تكون مسكنا مستقلا عن البيت من خلال سلم منفصل .. هذا يشرح لنا كيف صعد الرجال الأربعة الحاملين المفلوج الي السطح ليدلوه من السقف

وتسمى عليه في اللغة اللاتينية coendculune وتعني المكان المعد لتناول الطعام..وبمعني أوسع "الطابق العلوي من البيت" وسميت أيضا "أباغيون " او "أوفرون" بمعني عليه عشاء أو اجتماع.. ونقرأ عن "عليه البرود" وهي المكان الذي اتخذ عجلون ملك موآب مقرا صيفيا له (قضاه ٣) كما نقرأ ان المرأة الشونمية عندما مات ابنها وضعه الإشع النبي علي السرير في عليه التي في بيتها (١مل ١٧: ١٩) وكان مقيما بها .. نقرأ كذلك عن داود النبي بكى ابنه في عليه الباب (٢صم ١٨: ٣٣) واما سليمان فقد بني مجموعه من العلالى وغشاها بالذهب و الفضه (١ اخ ٢٨: ١١ و ٢ اخ ٣: ٩) وفي الاديره اطلق علي الحجره التي تطلو الباب الرئيسي "عليه" حيث يقيم الراهب البواب و يهتم بعابري السبيل.

كان ارسطو بولس والد مرقس الرسول جاء الي اورشليم قادما من موطنه الاصلي " القيروان " قد بني له بيتا فسيحا أشبه بالقصر وأقام فوقه عليه كبيره يتضح لنا سعتها من العدد الكبير الذي اجتمع بها وقت حلول الروح القدس .. كما اشترى بستانا ليكون عمله ومصدر رزقه وهو الذي عرف ب"بستان جثيماني" وبعد وفاه ارسطو بولس دعي البيت " بيت مريم ام يوحنا مرقس " في هذا البيت تعرف مرقس علي السيد المسيح من خلال اجتماعه هناك بتلاميذه ولذلك فهو شاهد عيان للاحداث التي جرت داخل بيته علي وجه الخصوص. في هذه عليه أيضا أعد التلاميذ الفصح للسيد المسيح " وجبه فصحيه" وذلك في اليوم الأول من الفطير اليوم السابق حسب الكثير من الأباء (حيث تأتي في القبطية "بي شورب" وهي لفظه تعني الاول كما تعني السابق ايضا)

في تلك الليلة والتي تناول فيها السيد المسيح الوجبه الفصحيه مع تلاميذه ..تشاجر بطرس و يهوذا حول من يجلس عن يمين السيد ومن يجلس عن شماله...حيث يجلس الاكبر في مثل هذه الولايم عن يمين رب البيت بينما يجلس الاصغر عن شماله .. ولكن بعد ذلك وليس بكثير ظهرت خيانه يهوذا ، وانكر بطرس ولما اراد السيد أن يعطيهم درسا في الإتضاع قام عن العشاء وسلمهم عمليا طقس غسل الأرجل (اللقان في الكنيسة الآن)

وفي تلك الليلة ، ونفس المكان أيضا أسس الرب سر الإفخارستيا ، وبعد ذلك سبج مع تلاميذه المزامير (١١٣-١١٨) وهي المعروفة في الطقس اليهودي ب" الهليل العظيم" ثم خرج الي جبل الزيتون الي بستان جثسيماني ، وهكذا كانت عليه هي آخر مكان يرتاح فيه قبل الصلب.

وفي المكان ذاته كان التلاميذ مجتمعون وهم غارقون في الحزن بعد صلب معلمهم وتبخر آمالهم ، ولكنه لم يتركهم هكذا فأدخل الفرحة الي قلوبهم وبدد مخاوفهم بظهوره لهم وقال لهم : " أنظروا يدي ورجلي ..إني أنا هو.. جسوني وأنظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي" لوقا ٢٤: ٣٩ وفي المكان عينه وفي يوم البنطقستي حل الروح القدس علي التلاميذ ، ومعهم ما يزيد عن المئة والعشرين نفسا .. وهو يوم ميلاد الكنيسة ، ولذلك فالعليه هي الكنيسة الاولى حيث إجتمع الرب مع التلاميذ وحيث أسس الإفخارستيا و سبج .. وأفاض روحه القدوس علي الجماعة الاولى لتتطلق الكنيسة كارزة من تلك اللحظة .

وبعد عشرين عاما عقد اول مجمع برناسه القديس يعقوب الرسول والذي ترأس الجماعة المسيحية بعد صعود السيد المسيح ، كأول راع يرعي القطيع الصغير موكلا من الله عليهم، وذلك سنة ٥٠ م ، حيث

نوقشت في الإجتماع قضية التهود.. وهكذا أصبحت العلية مقر إجتماع الكنيسة .. ففيها اقام التلاميذ الإفخارستيا بعد حلول الروح القدس .. كما ورد في سفر الأعمال.

علية صهيون في التقليد والتاريخ:

يفيد التقليد أن الآباء الرسل قد كرسوا الموضع كنيسة علي أسم السيدة العذراء ، وإذ بدأت الكنيسة تنطلق من هناك أسموا المكان " علية صهيون " وأصبح الاسم "صهيون " يطلق علي العلية بعد أن كان يطلق عليه " مدينة داود " فإن المسيح هو " داود الحقيقي " الي هذا المكان أيضا توجه القديس بطرس بعد إنقاذ الملاك له من السجن..حيث أن "باب الحديد" المذكور في القصة يقع بالقرب من ذلك الموقع .يشهد القديس أبيفانيوس أسقف سيلاميس بقبرص (وهو فلسطيني في الاصل تنيح سنة ٤٠٣ م) إن الامبراطور أدرينانوس (هديران) زار فلسطين ووجدها كما تركها تيطس بعد تدميرها سنة ٧٠ م . فيما عدا بعض البيوت ، ومن بينها كنيسة صغيرة قامت في مكان العلية، ويشير القديس كبريانوس في حديثه عن كنيسة الرسل الي ذلك المكان ايضا كما وصفت المكان ذاته الحاجه إثريا (إيجيريا) حيث شاهدت الاحتفالات الدينية التي كانت تقام في المكان في ذكرى ظهورات الرب وعيد العنصرة .. وهكذا صار المكان مركز كرسي اورشليم .. كما أقام فيها أول أسقف لأورشليم هو القديس يعقوب الرسول. قام يوحنا الثاني مطران القدس بترميم الكنيسة وكانت ما تزال باسم صهيون المقدسة وكانت تقام فيها احتفالات ايضا لقديسين وضعت رفاتهم فيها ، وكذلك القديس يعقوب والمك داود، حيث يفترض أن قبره يوجد تحت العلية.

قامت جيوش كسري الملك بتدمير الموضع في القرن السابع الميلادي ، واعاد ناسك يدعي موديستو تعميرها ولكن المسلمين دمروها من جديد ، فلما وصل الصليبيون لم يجدوا سوي الكنيسة العليا فبنوا بناء ضخم شمل المكان الذي تنيحت فيه العذراء ، وبعد رحيل الصليبيون حافظ المسيحيون علي العلية بينما اخذت الكنيسة الجديدة في التهدم.

وهناك تقليد سرياني يفيد بأن السيدة العذراء قد تعمدت علي يد الرسل هناك (وان كان تقليد مشكوك في صحته) حيث توجد ايقونه لها من رسم القديس لوقا فوق جرن المعمودية يقال انها التي تعمدت فيه . ويذكر شخص يدعي " برنارد الحكيم" والذي زار المكان خلال الفترة (من ٧٢٧-٧٢١ م) ان اكليل الشوك كان معلقا هناك في العلية علي الحائط..

ومع قدوم الآباءالفرنسيين الي المنطقة قاموا بترميم العلية ثم إبتنوا ديرا صغيرا ما زال قائما حتي اليوم، ولكنه وبعد حوالي منه سنة قام المسلمون بتحريض من اليهود بهدم القاعات السفلي و الإستيلاء علي قبر الملك داود، ونتيجة المضايقات الكثيرة وعدم مسانده السلطان العثماني في القسطنطينية اضطروا الي ترك المكان سنة ١٥٥١م وتحول الي مسجد سنة ١٥٥٤م ومنع المسيحيون من زيارته ..ولكن مؤخرا سمح لهم بالزيارة دون إقامة أية قداسات.

الأثار الموجودة هناك حاليا:

الباب الذي قرعه القديس بطرس بعد خروجه من السجن. أول جرن معمودية مسيحية.

مذبح كرسي القديس يعقوب أول أسقف لأورشليم.

أيقونه أثرية للسيدة العذراء رسم القديس لوقا الطبيب.

الدير الذي بناه الفرنسيون بعد أن توسعت الكنيسة لتصبح "بازيليكا" حيث أسماها البيزنطيون "ام جميع الكنائس" بينما سمي الدير " دير مار مرقس" نسبة الي بيت مرقس الرسول الذي هو العلية.

اما كيف انتقل الموضع الي السريان في وقت من الاوقات:

كان اسقف السريان يهتم بمصالح الاقباط وكان المكان تابعا لهم مقابل ان يرعي مطران الحبشة مصالح السريان في بلاده ، فلما رسم مطران للاقباط في القدس استمر مطران السريان مقيما في المكان . علية في بيتك...

بعض الاسر التقية تخصص جزءا من البيت اما حجرة بكاملها او ركن صغير ، يزينونه بالايقونات ويضعون فيه بعض الكتب مثل الانجيل والابصلمودية والاجبيه والسنكسار وغيرها ، هناك يصلون و يسبحون ويصنعون الميطانيات ، ويختلون من وقت لأخر ، يسمى اليونانيون والروس مثل هذا المكان : " حجرة الايقونات" حيث تتذكر العائلة انه يجب ان يكون للمسيح مكان في بيتهم يستريح فيه ويسكن معهم .. ويسمي هذا المكان "العلية" .

الفصل الثالث: جثسيماني

"قد دست المعصرة وحدي ، ومن الشعوب لم يكن معي أحد". (إشعيا ٦٣: ٣)

جاز السيد المسيح معصره الآلام بمفرده ، و الجموع التي أشبعها من دسم كلامه ومن مائدته هتفت "أصلبه أصلبه" وكان الوالي الوثني أكثر شفقه منهم !! وحتى التلاميذ أنفسهم تخلوا عنه رغم تحذيره لهم "هوذا تأتي ساعه ، وقد أنت الان تتفرقون فيها كل واحد الي خاصته وتتركوني وحدي" (عاد التلاميذ الي صيد السمك بعد قيامه السيد المسيح ، واثاء الصلب إحتموا في العليه ، وقبل الصلب سلمه يهوذا و أنكره بطرس و هرب مرقس تاركا إزاره).. بإستثناء بنات اورشليم اللاتي بكين عليه ومع ذلك طلب إليهن بالأحري أن يهتمن بأنفسهم وأولادهن ..دون ان يستخف بالطبع بهذه المشاعر النبيله ، وحتى القديسه مريم أعطاه إهتمامه هي و يوحنا ، فسلم كلا منهما للأخر وديعه.. وما أسمى كلا منهما وديعه وجوهرة..

وكانت الآلام المسيح النفسيه لا تقل عن الامه الجسديه بل وتزيد ، لأنه جرح في بيت أحبائه " ماهذه الجروح في يدك ؟ فيقول هي التي جرحت بها في بيت أحبائي " إحتفل السيد المسيح بالفصح مع تلاميذه في عليه مارمرقس ، وكانت عائله مار مرقس من القيروان جمعت ممتلكاتها وهاجرت من اورشليم ، وإشتريت بيتا هو الذي توجد العليه فيه من أعلي ، وكذلك إشتريت العائله بستانا وذلك في جبل الزيتون ، الي ذلك أشار القديس لوقا "وكان في النهار يعلم في الهيكل ، وفي الليل يخرج ويبيت في الجبل الذي يدعي جبل الزيتون " ..اي ان السيد المسيح كان يتردد الي ذلك البيت للإجتماع و الإحتفال أحيانا ، بينما إعتاد الخلوة في البستان التابع لهذه العائله التي نالت هذا الشرف. قصه جثسيماني:-

تعتبر ضيعه جثسيماني من أغني قصص دراما الصلب .. إذ جاءت في البشائر الأربعة تفصيليه و مؤثره أيما تأثير .. حتي أنها من المحطات التي تأخذك من خلال المطالعه الي عمق الحدث ..كان السيد المسيح قد أعتاد التردد علي جبل الزيتون بشكل عام ..بينما أعتاد المبيت و الاختلاء في البستان الذي هناك ، فعلي جبل الزيتون علم كثيرا ، وأجتمع مع تلاميذه ، هناك سأل تلاميذه عن علامات إنقضاء الدهر .. ويؤكد القديس لوقا محبته لذلك المكان قائلا " وكان في النهار يعلم في الهيكل ، وفي الليل يخرج و يبيت في الجبل الذي يدعي جبل الزيتون.. بل ان السيد المسيح ودع تلاميذه هناك حيث صعد الي السموات.

وفي تلك الليله ..ليله الآم الرب .. خرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه .. لقد أكل الفصح معهم ، ثم أسس الإفخارستيا بتقديم جسده و دمه الاقدس.. وكان قد قرر ان يفعل كل شئ لأجلهم الي حد تقديم نفسه بالصلب عنهم .. سبح السيد المسيح مع تلاميذه ما يعرف "بالهليل العظيم" وهو مزامير الفصح (مز ١١٣-١١٨) ثم خرج معهم الي جبل الزيتون .. خرج السيد ومعه تلاميذه من الباب المسمي الان "باب إستفانوس" عبر وادي قدرون والذي ينخفض الي ثلاثين مترا ، ومن ثم عبروا الي الطريق الصاعد المزروع بأشجار الزيتون والذي يتشعب من وادي قدرون.

ورغم ان جثسيماني قريب من اورشليم ، وهو يبعد عن اورشليم نصف ميل ، وفي مقابل الهيكل تماما والبستان كما هو واضح من تسميته ملئ بشجر الزيتون ، والزيتون هو أحد المحاصيل الرئيسيه في اليهوديه " تين- عنب- زيتون " وفي البستان معصره للزيتون ، ومن هنا جاءت التسميه " بستان جثسيماني " .

أين يقع المكان الآن؟:-

يختلف اليونانيون مع الارمن مع الأوروبيون في تحديد مكانه ، ولكن الموضع بشكل عام يقع علي سفح الجبل فوق الطريق الواصل بين اورشليم وبيت عنيا .. وتفيد أقدم التقاليد بأنه عند زياره الملكة هيلانه لأورشليم سنه ٣٢٦م حددوا لها الموقع من خلال كنيسه للسيدة العذراء علي مسافه ٥٠ مترا الي الشرق من القنطره علي وادي قدرون مقابل الهيكل

وفي الموضع الذي كان فيه البستان ، كان الرهبان الفرنسيون يحيطونه بالأشجار و الورود عندما سكنوا هناك ، حيث إعتنوا به جدا .. وهناك توجد ٨ شجرات يقال انها ترجع الي زمن السيد المسيح في تجسده .. والارجح انها خليفه منها اي من عمليه الشتل المستمره ، لا سيما وقد ذكر يوسفوس المؤرخ اليهودي ان تيطس قائد المنه الروماني والذي دمر اورشليم ، قد امر بقطع الاشجار الموجوده حول اورشليم ، وهناك

علي مسافه ٩٠ م يوجد كهف يقال انه المكان الذي جثا فيه السيد المسيح وصلي حيث صار عرقه كقطرات دم
جثسيماني الآن:-
توجد الآن في الموضع كنيسه مبنيه تدعي " كنيسه كل الأمم " بنيت في الفتره ما بين ٣٨٠-٣٩٠ م وقد
ذكرتها الحاجه إيثيريا السائحه الأسبانيه (ايجيريا) في القرن الرابع، وقد اكتشفت أساساتها تحت الكنيسه
الحاليه .

الفصل الرابع: قيافا رئيس الكهنة

"فقال لهم واحد منهم، وهو قيافا، كان رئيسا

للكهنة في تلك السنة "أنتم لستم تعرفون شيئا" (يوحنا ١١: ٤٩)

هو يوسف قيافا الذي تولى رئاسة الكهنوت في الفترة (من ١٨-٣٦) و لن يتعجب المطالع عندما يقرأ تعبير "رئيسا للكهنة في تلك السنة " ذلك لأن رؤساء الكهنة كانوا يتغيرون كثيرا من قبل الحكام السياسيين ، إما عقابا لهم و إما لرشوة أكبر يدفعها شخص آخر ففتحول رئاسة الكهنوت

إليه، حتى أصبح الكهنوت يباع و يشتري بهذه الطريقة ، و قد بدأ ذلك منذ عهد المكابيين في القرن الثاني قبل الميلاد ، فقد نفي رئيس الكهنة المحبوب (حونيا الثالث) إلى مصر من قبل السلوقيين ، و تعقب بعد ثلاثة من رؤساء الكهنة عن طريق الرشوة و التدليس و هم ياسون و ألكيمس و منلاوس .

و في أيام السيد المسيح كان قيافا هو رئيس الكهنة الرسمي ، بينما كان حماه حنان هو رئيس الكهنة الفعلي و المحرك الحقيقي لصهره قيافا ، و كان أشد كثيرا منه ، و لذلك ذكر الإسمان

معا في أيام رئيس الكهنة حنان و قيافا ، كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية، (لوقا ٣: ٢). و قيافا هذا هو المسئول الأول عن صلب السيد المسيح من جهة الإجراءات

و الدسائس ، مثلما كان المسئول الأول عن اضطهاد المسيحيين في بكور العصر الأول للمسيحية" و حدث في الغد أن رؤسائهم و شيوخهم و كتبهم اجتمعوا إلى أورشليم مع حنان رئيس الكهنة و قيافا و يوحنا و الإسكندر ، و جميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة" (أعمال ٤: ٥، ٦). لقد أضمر في قلبه أن يدمر الكنيسة بعد صلب المسيح ، في حين أن بيلاطس البنطي نفسه لم يشغل باله بالمسيح و المسيحيين بعد الصلب ، مثلما كان يرغب في إطلاق سراح المسيح لولا إصرارهم على التخلّص منه ، هكذا عاتبهم القديس بطرس ""الذي أسلمتموه أنتم و أنكرتموه أمام وجه بيلاطس ، و هو حاكم بإطلاقه ."" (أعمال ١٣: ٣). لقد كان قيافا ما يزال في منصبه عندما أمر بعد سنوات بالقاء الرسل في السجن، كما أباح رجم إستفانوس رئيس الشماسية ، و هو الذي سلم شاول الرسائل إلى رؤساء المجمع في دمشق للقبض على المسيحيين.

من هو قيافا....

قيافا اسم أرامي معناه صخرة ، و أول مرة نسمع فيه عن قيافا ، كان عند كرازة يوحنا المعمدان ، حيث يسجل القديس لوقا (و هو مؤرخ من النوع الممتاز) تاريخ العمل التبشيري ليوحنا ، أن ذلك كان في أيامه (لوقا ١: ٣) و صدوقي أرسطراطي ، ينتمي إلى عائلة صادق رئيس الكهنة الذي عينه سليمان الحكيم لينهي كهنوت عالي الكاهن و يعيد عائلة ينحاس إلى هذه الخدمة كما وعده الرب (عدد ٢٥ : ١٢ ، ١٣). و قد عرف عن الصدوقيين استخفافهم بالملائكة و السماء و الأرواح ، مقابل الفريسيين الذي عرف عنهم تمسكهم بالتقاليد و محبتهم للتصوف ، تزوج قيافا من ابنة حنان الرئيس السابق للكهنة .

تعيينه في رئاسة الكهنوت :

عينه فاليريوس جرانوس الحاكم السوري و المسئول عن منطقة اليهودية و الوالي الذي فيها ، فقد عزل حنان و عين آخر يدعى "إسماعيل بن فايي" ثم عزله و عين بدلاً منه العازر و هو بن "حنان" المشار إليه هنا ، و أخيراً جاء قيافا صهر حنان . و كان قيافا نفسه هو الخامس عشر في سلسلة رؤساء الكهنة على مدار ستين سنة !، و يجدر بالذكر أنه خلال مائة سنة و عشرة تغير رؤساء الكهنة ثمانين و عشرين مرة ، لقد كان مجرد أن يحدث شغب على درجات سلم الهيكل كفيل بأن يعزل رئيس الكهنة ! و عندما عزل قيافا في سنة ٣٦ م . (في العام السابق لعزل بيلاطس البنطي من منصبه) كان يتوجب على الحاكم البحث عن أسرة كهنوتية أخرى ، و في ذلك الوقت كان هناك ست أسر كهنوتية في اليهودية ، و كان ذلك يعني أن أسرة حنان و قيافا سوف تفقد ما تجره عليه رئاسة الكهنوت من مكاسب و غنائم من الهيكل ، من خلال الصرافة و أنصبتهم منها و من قطعان الماشية التي كان لهم نسبة فيها أيضاً و كذلك بعض مصادر تجارية ..

حنان رئيس الكهنة :

أشرنا إلى أن قيافا و مع أنه كان رئيس الكهنة الرسمي وقت صلب السيد المسيح ، إلا أن المحرك الرئيسي له كان حنان حماه ، فمن هو حنان هذا؟. هو رئيس الكهنة الذي كان الحاكم فاليريوس قد خلعه قبل عشرين

عاماً مضت على أحداث الصلب ، و كان هيرودس الكبير قد استدعاه هو و أسرته لكي يعينه في الحكم بشكل أو بالآخر ، ثم عينه رئيساً للكهنة و قد سيطر على رئاسة الكهنوت لمدة طويلة ، لا سيما و أن خمسة من أولاده بخلاف قيافا تولوا رئاسة الكهنوت ، و لأنه كان غنياً جداً فقد استطاع شراء هذه الرتبة لهم . و في هذا الصدد يذكر التاريخ اليهودي أن "مارثا بنت يوسوس" استطاعت أن تشتري رئاسة الكهنوت لزوجها "يشوع بن جمالا" و قد فرشت له الطريق من منزله إلى الهيكل لكي تشاهده و هو يقدم الذبيحة ، أما هو فقد صنع له قفازين من الحرير لنلا تتسخ يده من جراء تقديم الذبيحة !!.

هذا و قد قررت السلطات الرومانية أن تحتفظ بملابس رئاسة الكهنوت الرسمية و ذلك في قلعة أنطونيا (و هي قلعة رومانية تشرف على الهيكل)، يتسلمها رئيس الكهنة في المناسبات الرسمية على أن يعيدها من جديد بع الإنتهاء من الخدمة في اليوم ذاته ، بينما كان رئيس الكهنة على المستوى الطقسي يخضع لما يشبه الإختبار أو المراجعة الطقسية مرة كل عام ، في مناسبات هامة مثل عيد المظال و يوم الكفارة ، و عيد الفصح ، و ذلك لنلا يخطئ في إجراء الطقس فيتسبب ذلك في التوتر و إستياء الشعب ، و لعل ذلك قد جاء بسبب أن الإسكندر جنايوس قد أخطأ في طقس سكب المياه التي كان يجلبونها من بركة سلوم بإحتفال كبير في اليوم الأخير من عيد المظال ، حيث يكسرها رئيس الكهنة ليسكبها بجوار المذبح ، في إشارة إلى صخرة حوريب التي تفجر منها الماء ليشرب الشعب في البرية ..و السبب في هذا الإرتباك و الخطأ ، هو أن رؤساء الكهنة جمعوا في فترة من الفترات (عصر المكابيين) بين رئاسة الكهنوت و الإدارة الساسية بداية من سمعان المكابي و حتى إحتلال الرومان للمنطقة في القرن الأول قبل الميلاد ، و بالتالي لم يكن لديه الوقت الكافي لدراسة و مراجعة طقوس الخدمة في الهيكل ..

في محاكمة السيد المسيح كان كل من حنان و قيافا يسكنان في سراي رئيس الكهنة في أورشليم ، و التي كانت مقامة داخل فناء فسيح يصلون إليها من خلال ممر (بهو) كبير مسقوف ينتهي ببضع درجات إلى الموضع الذي حوكم فيه السيد المسيح دينياً أمامهم . عندما أتى به الجند و بعض من رعاك الشعب اتجهوا أولاً إلى حنان حيث أرسله هذا بدوره مقيداً إلى قيافا ، و في هاتين المحاکمتين كان السيد ينتقل فقط من جناح إلى آخر داخل القصر نفسه .و كانت المحاكمة الأولى أمام حنان عبارة عن مؤامرة ، بينما كانت الثانية أمام قيافا عبارة عن أخذ أقوال ، و أما المحاكمة الدينية الثالثة فكانت أمام مجلس السنهدريم ، و التي كانت بحسب الشكل فقط المحاكمة القانونية الوحيدة ... لأنه لا يحق لرئيس الكهنة بمفرده محاكمة شخص و حتى عندما عقدوا مجلساً مصغراً من السنهدريم تحت جناح الظلام ، و مع ذلك فقد أخطأ السنهدريم لأنه قد عقد جلسته ليلاً و أصدر حكماً بالموت و هو ما لا يجوز بحسب التقليد اليهودي (راجع مقال السنهدريم داخل هذا الكتاب).

ارتعب قيافا من يسوع الصامت الواقف أمامه في هدوء و وقار ، فنزل إلى الوسط و استحلفه إن كان هو المسيح ابن المبارك (استمر السيد المسيح صامتاً إلى أن استحلفه قيافا و هنا كان يجب أن يرد) فلما أجابه بالإيجاب هاج قيافا و مزق ثيابه و سأل مستنكراً "ما حاجتنا بعد إلى شهود فقد جدف!" : فضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة ، فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة و الشيوخ و الكتبة ... فقام رئيس الكهنة في الوسط و سأل يسوع قائلاً : أما تجيب بشيء ؟ ماذا يشهد به هؤلاء عليك ؟ أما هو فكان ساكتاً و لم يجب بشيء . فسأله رئيس الكهنة أيضاً و قال له : أنت المسيح ابن المبارك ؟ فقال يسوع : أنا هو .. و سوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة ، و آتياً في سحاب السماء ... فمزق رئيس الكهنة ثيابه و قال : ما حاجتنا بعد إلى

شهود ؟ قد سمعتم التجاديف ! ما رأيكم؟ فالجميع حكم عليه أنه مستوجب الموت . فابتدأ قوم ييصقون عليه ، و يغطون وجهه و يلطمونه و يقولون له تنبأ ! و كان الخدام يلطمونه .. (مرقس ١٤ : ٥٣ ، ٦٥). أما تمزيق الثياب فهو إجراء الذي يعني الإحتجاج الشديد على التجديف ، و قد رأى الكثير من الآباء في هذا التصرف شق الكهنوت اللاوي و انتهاءه !!، لا سيما و قد كان إجراء مماثل يتخذ في وقت ما ضد الهرطقة و المبتدعين في حالة إصرارهم . عند ذلك هتف الحاضرين "إيش مافت" أي "مستحق الموت" تقول بع مصادر من التقليد أن قيافا مضى ليلاً إلى بيلاطس البنطي في مسكنه ، و أطلعه على القضية و استطاع إقناعه بأنه من الأفضل التخلص من ذلك المشاغب (حسب تصوره) قبل احتفالات الفصح ، بعد أن كانوا قد

قررُوا القبض عليه في العيد و لكنهم تراجعوا لئلا تندلع المظاهرات المؤيدة له فتأتي الخطة بنتيجة عكسية ، و حاول قيافا إقتاع بيلاطس بأنهم قد وفروا عليه عناء المحاكمة و أخذ الأقوال بحجة الحرص على وقته ، و اتفق معه على أن يقوم في الغد بالتصديق على الحكم بموته ، و لكن بيلاطس في الصباح أجابهم بأنه سيعيد النظر في القضية برمتها ، و أثناء محاكمته للمسيح أيقن أنه بريء و أنه أسلم إليه حسداً ، مما ضايق قيافا جداً و جعله يهدد بيلاطس و يهيج الشعب ضده بأنه في حالة إطلاق سراح يسوع سيكون مقاوماً لقيصر ، و العجيب هنا أن قيافا عندما فشل في الدين لجأ إلى السياسة ، أي أنه عندما لم يستطع أن ينتزع من بيلاطس الحكم بصلب المسيح بسبب المبررات الدينية التي ساقها إليه بدأ في الضغط السياسي (يوحنا ١٩ : ٤-١٤). هكذا تخبط رئيس الكهنة في سلوكه و تصريحاته ، فكيف ينادي اليهود بالحرية من نير الرومان و يسعون في طردهم و البحث عن حاكم يهودي للعودة إلى الحكم الثيوقراطي ، و في الوقت ذاته يهيجون الرومان ضد أحد رعاياهم ، كيف يقدمون المسيح على أنه متهم بأنه يجعل نفسه ملكاً و يدعون أنه ليس لهم ملك إلا قيصر ، و في الوقت ذاته لا يدخلون إلى دار الولاية لئلا يتنجسوا . بل قاموا بثورات كثيرة ضد الرومان .. هنا و نتذكر كيف أنهم حاولوا التصيد للسيد المسيح أكثر من مرة ، كانت إحداها عندما سألوه أيجوز لنا أن نعطي الجزية لقيصر أم لا .. فإذا وافق قالوا عنه أنه خائن و إذا رفض وشوا به لدى الرومان بإعتباره ناهضاً لروما ، و لكن السيد بسؤاله لهم عن الكتابة و الصورة التي على الدينار أراد أن يقول لهم : ما دمتم تحت سلطان روما بدليل استخدام عملتها فعليكم الخضوع لقوانينها ، هذا و يجب الإنتباه إلى أن العملة الرسمية لم تكن شافل القدس (شافل الهيكل) بل الدينار الرومانية ، و أما شافل الهيكل فكان الحجاج يشترونه من الهيكل لتقديم تبرعاتهم و شراء ذبائحهم ، و هذا هو سبب وجود الصيارفة في الهيكل ... هذا و يسجل التلمود عن حنان وقيافا : الويل لبیت حنان .. الويل لبیت قيافا .. الويل للبيت الذي اضطهد شعب الله .. الذي ضرب العابدين بالعصا ..!!!!"

الفصل الخامس: مجلس السنهدريم

هو أعلى سلطة تشريعية و قضائية يهودية ، و هو يقابل مجلس الشعب المصري و مجلس العموم البريطاني و مجلس الشيوخ الروماني و الأمريكي ، و هو يختلف عن الباقيين في أنه ديني و قضائي أيضاً إلي جوار أنه تشريعي ، و في الأوقات التي كان اليهود يحكمون أنفسهم بأنفسهم كان هذا المجلس بمثابة الحكومة..

تأتي كلمة سنهدريم من اللفظة اليونانية "زينديون" zynedrion و التي تعني "الجالسون معاً" و هكذا تعني لفظة سنهدرين و في العبري سنهدريم مجعاً أو مجلساً أو مؤتمراً ، و منها جاءت لفظة سينود synpd المستخدمة الآن على نطاق واسع في الكثير من الكنائس . نشأت فكرة السنهدريم قبل المسح بعدة قرون و بالتحديد عندما سمح لليهود في بعض المجتمعات في السبي مثل بابل ، أو بعد العودة من السبي حين لم يكن لهم ملك من الخارج فقام رئيس الكهنة بالدورين السياسي و الديني ، غير أن الفكرة نفسها موجودة منذ أيام موسى النبي حين نصحه يثرون حميه بأن يختار سبعين شيخاً يعاونونه في تصريف شئون الشعب و يفصلون في القضايا الصغيرة ، و أيد الرب الفكرة و باركها "فقال الرب لموسى : اجمع إلى سبعين رجلاً من شيوخ اسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب و عرفاؤه ، و أقبل بهم إلى خيمة الإجتماع فيقفوا هناك معك . فأنزل أنا و أتكلم معك هناك ، و آخذ من الروح الذي عليك و أضع عليهم ، فيحملون معك ثقل الشعب ، فلا تحمل أنت وحدك". (سفر العدد ١١ : ١٦، ١٧). ومع الوقت أصبح هناك ممثلون عن الشعب ، عبر عنهم بشيوخ الشعب و رؤساء الشعب هكذا قال الرب : "أذهب و اشتر إبريق فخاري من خزف ، و خذ من شيوخ الشعب و شيوخ الكهنة" (ارميا ١٩ : ١) و يرد مثل هذا التنظيم في سفري المكابيين أيضاً، فنقرأ في رسالة سمعان المكابي إلى الرومان : "في مجمع عظيم من الكهنة و الشعب و رؤساء الأمة و شيوخ البلاد ثبت عندنا إن قد وقعت حروب كثيرة في البلاد" (مكابيين أول ١٤ : ٢٨). و هكذا نقرأ في أحداث الصلب "و لما جاء الصباح تشاور جميع رؤساء المهنة و شيوخ الشعب على يسوع حتي يقتلوه " (متى ٢٧ : ١)، كما اعتبر رؤساء الشعب هم شيوخ و أراخنة الأمة حينئذ انتلأ بطرس بالروح القدس و قال لهم "يا رؤساء الشعب و شيوخ اسرائيل ..."(أعمال ٤ : ٨) و على المستوى الكنسي يسمى الرؤساء أراخنة، حيث أن كلمة أراخن في القبطية تعني رئيس "أرشي و أرخون".

و في بعض الأحيان يوجد أكثر من مجلس فهناك المجلس الملي و المجلس الإكليريكي و المجمع المقدس و المجالس المليية الفرعية و المجالس الإكليريكية الفرعية ، و أراخنة لا يضمهم مجلس رسمي و لكنهم فعالون و محبون يعملون دون إطار رسمي أو لقب ، نقرأ في سيرة البابا يعقوب المسمى بالعامود الفضي أن أراخناً فاضلاً يدعي شنودة قام بدور رائع في الكنيسة أثناء غياب البابا .. و في أيام السيد المسيح كان هناك ثلاثة أنواع (أو درجات) من السنهدريم :

المجلس القروي و يضم سبعة أعضاء و يفصل في القضايا المحلية الصغيرة .
المجلس المدني (من مدينة) و يضم ثلاث و عشرين عضواً و يختص بأمور المدينة.
المجلس الأعلى و هو الرئيسي و يوجد في أورشليم و يتكون من سبعين عضواً يرأسهم رئيس الكهنة ، و كان يسمى داخل المجلس بـ "نازي" أي الزعيم.

و يتكون مجلس السنهدريم من ثلاث فئات من الشعب : الصدوقيون و منهم الكهنة و رؤسائهم ، و هم لا يؤمنون بالملائكة و لا القيامة من الأموات ، ثم الشيوخ و هم الأراخنة أو رؤساء الشعب ، ثم الكتبة و هم طبقة المثقفين من الشباب دينياً و مفسرون الأسفار و أكثرهم من الفريسيين ، (و الكاتب اصطلاحاً يعني اللاهوتي) و كان الكتبة هم معلمو الشعب .

و قد جاء ذكر هذه الفئات الثلاث عند محاكمة الرسل بعد حلول الروح القدس "و حدث في الغد أن رؤساءهم و شيوخهم و كتبتهم اجتمعوا إلى أورشليم "(أعمال ٤ : ٥)، و ذكر شيوخ الشعب بمفردهم : و فيما هو

يتكلم ، إذا يهوذا أحد الإثني عشر قد جاء و معه جمع كثير بسيوف و عصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب .(متى ٢٦ : ٤٧) ، بينما ذكر المجمع في موضع آخر "فجمع رؤساء الكهنة و الفريسيون مجعاً و قالوا ماذا نصنع ؟

فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة ".(يوحنا ١١ : ٧). كما ورد ذكر مشيخة الشعب (الشيوخ) و رؤساء الكهنة و الكتبة في موضع آخر "و لما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب : رؤساء الكهنة و الكتبة ، و أصعدوه إلى مجمعهم (لوقا ٢٢ : ٦٦).

هذا و قد منح الرومان مجلس السنهدريم الكثير من الحقوق الدينية و بعض الإمتيازات المدنية، في حين نقرأ أن هيرودس الكبير كان قد أمر بقتل بعضاً من أعضائه مع أشرف آخرين عندما يعلن خبر موته ...

و و كان المجلس يتخذ شكل نصف دائرة أو حرف U ، و يجلس رئيس الكهنة باعتباره رئيس المجلس في الوسط مقابل الكل ، و في بعض الجلسات يتكون المجلس من ثلاث صفوف ، الأول للمجلس الرسمي و الثاني يتكون من تلاميذ الأعضاء و الثالث من عامة الشعب ، فإذا نقص عدد أعضاء السنهدريم يختار من تلاميذهم من يحل محله ، في حين يختار من الشعب من يحل محل التلميذ و هكذا . و قيل أن كرسيًا في مجلس السنهدريم كان يترك خالياً و يسمى "كرسي موسى" على اعتبار أن جلسة المجلس امتداد لعمل موسى المشرع "موسى بي نوموستيس" و كأنه حاضر معهم ، و ربما ظن البعض أن تعبير السيد المسيح في (متى ٢٣ : ٢) على كرسي موسى جلس الكتبة و الفريسيون "، أنهم كانوا يجلسون بالفعل على الكرسي المشار إليه و المخصص لموسى، و لكن الأرجح أن السيد قصد بكرسي موسى "حق التشريع و التعليم". جدير بالذكر هنا أن اليهود كانوا يحتفظون بكرسي خالي في ولائهم الطقسية، و كانوا يسمونه "كرسي إيليا"!

السنهدريم و محاكمة المسيح:

كان من حق رئيس الكهنة أن يدعو لعقد مجلس السنهدريم لأي أمر طارىء ، و بخصوص السيد كانت أول إشارة إلى ذلك في إنجيل يوحنا "و كان أيضاً رؤساء الكهنة و الفريسيون قد أصدروا أمراً أنه إن عرف أحد أين هو فليدل عليه ، لكي يمسكوه". (يوحنا ١١ : ٥٧). و في الثاني و العشرين من شهر فبراير من ذلك العام أصدر مجلس السنهدريم أمراً بالقبض على المسيح ، فكتبت رسائل من المجلس مختومة بخاتمه و خاتم رئيس الكهنة إلى شيوخ الشعب في المدن و القرى كما دار مناد في الشوارع يعلن القرار ، و هذا نصه :

مطلوب القبض عليه

[مطلوب القبض على يسوع الناصري ، و سيرجم لأنه مارس السحر و أغوى اسرائيل و جعله يرتد . أي شخص يستطيع أن يقول شيئاً لمصلحته فليأت ليدافع عن نفسه ، و أي شخص يعرف مكانه فليعلن عنه لمجلس السنهدريم في أورشليم]

و هذا هو الأمر الذي بموجبه تم القبض عليه في بستان جثيماني ، و مع أن المسيح كان معهم في الهيكل كل يوم يعلم إلا أنه لم يكن قد صدر أمر من الرئاسة الدينية بعدم شرعية المسيح و تعليمه ، و كذلك تحذير الشعب منه ، و قد عجل بهذا القرار معجزة إقامة لعازر و رد الفعل الذي نتج عنها حيث خشوا أن يذهب الشعب كله وراءه(يوحنا ١٢).

بعد القبض على المسيح حوكم مرة أمام حنان و أخرى أمام قيافا ، و لم تكن تلك المحاكمات قانونية بحسب الشريعة و القوانين اليهودية ، إذ أن المحاكمات الرسمية كانت من إختصاص السنهدريم يقضي بعرضه عليه شخصياً....

وقف السيد المسيح أمام مجلس السنهدريم بعد حنان و قيافا ، راجع (متى ٢٦ : ٥٧-٦٦) حيث يشار إلى السنهدريم هنا بالمجمع ، هذا بخلاف الأحاديث التي دارت بين المسيح و رئيس الكهنة و هتاف الجمع و قرار الجميع بأنه مجدف يستحق الموت . و من مجلس السنهدريم مضوا به إلى بيلاطس البنطي.(يذكر أيضاً أن الرسل قد وقفوا لاحقاً أمام مجلس السنهدريم في بداية كرازتهم (أعمال ٤ : ٥-٢١ ، ٥ : ٢١-٤٠))، و بذلك تم قول الرب لهم أنهم سيحاكمون مثله : "و قبل هذا كله يلقيون أيديهم عليكم و يطردونكم ، و يسلمونكم إلى مجامع و سجون ، و تساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمي"(لوقا ٢١ : ١٢).

حوكم المسيح ليلاً ، و من هناك تأتي عدم قانونية المحاكمة ، لا سيما و أنها أصدرت حكماً بالموت ليلاً ، و هناك مقولة في التلمود مفادها أن مجلس السنهدريم الذي يصدر أحكاماً بالإعدام أكثر من مرة خلال سبع سنوات يحسب متسرعاً عجولاً حامي الطبع.

هذا و قد تخيل قيافا أنه بإصداره حكماً بقتل المسيح بالتعاون مع السنهدريم قد حسم قضية لطالما أرقته و أنه تخلص من شخص عانى بسببه كثيراً ، و توقع قيافا أن بيلاطس سيصدق على الحكم ببساطة و لكن الأخير خيب ظنه في الصباح عندما قرر نظر القضية بكاملها من أولها !! و لنا أن نتعجب كيف يجتمع هذا المجمع السنهدريمي ليقيم قضاء الله و عدله فيحكم على الله نفسه.

الفصل السادس : يهوذا الاسخريوطى

"والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلاً : الذى أقبله هو هو . أمسكوه" (متى ٢٦ : ٤٨)
طوال الوقت الذى قضيته فى كتابة هذه المقالات حول أحداث ال صلب لم أشعر بلاستياء والشفقة والغربة إلا مع هذه الشخص ية فالرومانوثيون لايعنيهم الأمر ورؤساء اليهود كانت لهم مصالحهم والتى تعارضت مع رسالة المسيح والجموع التى هتفت فى بيلاطس اصلبه اصلبة لم تكن تدرى جيداً ما تقول بسبب الحماسة الطارئة والتضليل أما يهوذا فقد كان تلميذاً وأميناً لصندوق الجماعة وقد خصه المسيح بهذا الشرق أن يكون من خاصته من بين ملايين فلماذا يخون وما هو المقابل ؟ هلموا نقرب من هذه الشخصية ونحاول إلقاء الضوء عليها ونغوص فى داخلها قليلاً فى إنجيل القدس الاصحاح الثانى عشر نواجه صورتين متناقضتين المرأة الخاطئة التى سكبت الطيب على قدمى المسيح فهى خاطئة محتقرة من مجتمع محافظ وشكلى فى أن واحد ومع ذلك فهى تقدم توبة للمسيح وكراماً له بحب وصدق ثم يهوذا والمحسوب ضمن تلاميذ الرب وأمين الصندوق بحسد وغش يذكر على المرأة محبتها وإكرامها للرب كما يذكر على الرب أيضاً قبوله لقربان تلك الخاطئة (يوحنا ١٢ : ١-٨) ولكن الرب خصها بمكافأة غير متوقعة إذ خلد فعلها وأمر بالمناداة بما قدمته حيثما كرز بالإنجيل " الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكراً لها " (متى ٢٦ : ١٣) راجع أيضاً (مرقس ١٤ : ٩) هذا فعلت بحب وذلك بكثرة برىاء ... ومع أن قصة يهوذا صريحة وواضحة ومكتملة الأركان من جهة التامر والتنفيد إلا أنه شخصياً يعد الأشد سداجة بين الذين اشتركوا فى دراما الصليب من هو يهوذا ؟
يهوذا الاسخريوطى :-

معنى الاسم : " إياك يحمد اخوتك " (أى محمود أو ممدوح) وقد ارتبط اسمه بإحدى صفتين إما الإسخريوطى (أى رجل من قريوط) وإما " يهوذا مسلمه أو يوهوذا الذى أسلمه اسمه بالكامل " يهوذا سمعان الاسخريوطى " هكذا لم يكن يهوذا الذى هذا جليلياً مثل التلاميذ لأن قرية " قريوط " تقع جنوب اليهودية بينما يقع الجليل فى الشمال (يوحنا ١٣ : ٢) وعندما يذكر يهوذا الآخر (الذى هو تداوس أولباوس) فإنه لا يذكر باسمه كاملاً وإنما مميزاً عن يهوذا الاسخريوطى !! وكأنه يخشى أن يخلط القارئ أو السامع فيما بينه وبين التلميذ الخائن قال له يهوذا ليس الإسخريوطى " ياسيدى ماذا حدث حتى إنك مزعم أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم " (يوحنا ١٤ : ٢٢) ولذلك فإننا لم نسمع أن أحداً من البطارقة أو الأساقفة قد دعى بهذا الاسم ! كما لقب أيضاً بالخائن تمييزاً له عن خمسة آخرين حملوا نفس الاسم .
١. يهوذا أخو الرب : وهو أخو يعقوب ويوسى وسمعان أليس هذا ابن النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ؟ (متى ١٣ : ٥٥ و ٢٧ : ٥٧) انظر أيضاً (مرقس ٦ : ٣ و ١٥ : ٤٠) وهم أبناء خالة يسوع المسيح بالجسد والتى تدعى مريم زوجة كلوبا (يوحنا ١٩ : ٢٥) .
٢. يهوذا السؤل : وهو الذى يدعى لبائس أو تداوس " قال له يهوذا ليس الإسخريوطى " يا سيد ماذا حدث حتى أنك مزعم أن تظهر ذلك انا وليس للعالم " (يوحنا ١٤ : ٢٢) .
٣. يهوذا الجليلى : وهو أحد الثوار اليهود الذين ناهضوا الرومان وقام بعدة ثورات ضدهم انتهت بقتله وسحق أتباعه " بعد هذا قام يهوذا الجليلى فى أيام الاككتاب وازاع وراءه شعباً كثيراً فذاك أيضاً هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا (أعمال ٥ : ٣٧) وكان ذلك فى أيام الاككتاب .
٤. يهوذا الدمشقى : وهو التلميذ الذى أرشد الرب الطرسوسى إليه لكى يعلمه طريق الرب فقد أرسل الله شاول إلى بيت يهوذا بينما أمر حنانيا بلذهاب إلى بيت يهوذا ليلتفى شاول وهو يصلى هناك (أعمال ٩ : ١١) .

٥. يهوذا الملقب برسابا : وهو الذى أرسله الرسل مع سيلا برفقة القديس بولس إلى أنطاكية بعد حسم قضية اليهود فى مجمع اورشليم سنة ٥٠ م " حينئذ رأى الرسل والمشايخ مع كل الكنيسة أن يختاروا رجلين منهم فيرسلوهما إلى أنطاكية مع بولس وبرنابا يهوذا الملقب برسابا وسيلا رجلين متقدمين فى الإخوة " (أعمال ١٥ : ٢٢) أما يهوذا الاسخريوطى فقد دعاه السيد المسيح ليكون له تلميذاً ضمن الاثنى عشر (متى ١٠ : ٤) ثم يقول الرب بعد ذلك بحزن أجابهم يسوع " أليس أنى أنا اخترتكم الاثنى عشر ؟ وواحد منكم شيطان " (يوحنا ٦ : ٧٠) وبحسب كتاب " الاثنى عشر رسولاً " (وهو كتاب أبوكريفى) فقد قبل

يهودا الدعوة عند بحر طبرية هذا ويتعجب الكثيرون لماذا اختاره السيد وهو يعلم أنه سوف يسلمه ؟ ! ولكن الرب يعطى الفرصة لكل وهناك فرق بين سابق علم الله من جهة وحرية إرادة الانسان من جهة أخرى وبينما يرى البعض أنه قد ساهم يهوذا فى عملية الفداء بمعيار ما مإن ذلك لايعفيه من المسئولية فهو خانن ولم يفعل ذلك بقصد الاشتراك فى الفداء أو المساهمة فيه كيف سلم يهوذا المسيح:-

كان الرب يعلم أنه شيطان وأنه سارق والصندوق عنده وقد اختاره الرب ليؤكد مبدأ تكافؤ الفرص لكل وليس هناك سابق للتعيين من جهة اختيار يهوذا لهذا العمل وليقود ذلك إلى هلاكه وقد حذره السيد المسيح أكثر من مرة وفيما هم متكئون يأكلون قال يسوع " الحق أقول لكم إن واحدا منكم يسلمنى الأكل معى " (مرقس ١٤ : ١٨) كما أشار إلى أن تلاميذه أطهار باشتتاء أحدهم وكان يقصد يهوذا وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم لأنه عرف مسلمه لذلك قال " لستم كلكم طاهرين " (يوحنا ١٣ : ١٠ ، ١١) بل إنه نبهه مبكتا اياه فبعد اللقمة دخله الشيطان فقال له يسوع " ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة " (يوحنا ١٣ : ٢٧) وفى هذا كان يعلن السيد المسيح سلطانه على يهوذا ومجريات الأمور وسلطانه فى تحديد الساعة حيث ورد أكثر من مرة فى مواضع سابقة أن ساعته لم تكن قد جاءت بعد هذا الكلام قاله يسوع فى الخزانة وهو يعلم فى الهيكل ولم يمسه أحد لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد (يوحنا ٨ : ٢٠) راجع أيضا (يوحنا ٧ : ٣٠ و ٨ : ٥٩ و ١٠ : ٣١ ، ٣٩) والسبب أن السيد سبق فحدد الموعد والطريقة التى يموت بها . كان اليهود قد اتفقوا أن يرجئوا أمر القبض عليه إلى ما بعد الفصح لئلا يثور بعض الحجاج وبعض من مريديه تعاطفاً معه ولكن يهوذا استطاع بعرضه أن يعدل لهم الخطة حيث سيهيئ لهم الوقت والمكان الذى يقبضون فيه عليه وبسهولة وقبل الفصح فراقت لهم الخطة ووضعوها موضع التنفيذ وجاء اتفاقهم معه كأسوأ وأحقر اتفاق تم فى التاريخ البشرى كله !! حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذى يدعى يهوذا الإسخريوطى إلى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه إليكم ؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه (متى ١٤ : ٦ - ١٦) وسواء كانت هناك صلة قربة بين يهوذا ورئيس الكهنة استطاعوا استثمارها فى الخطة أم لا فقد ذهب يهوذا ليلا إلى حنان حمى قيافا يعرض عليه ذلك فراقت الفكرة لرئيس الكهنة ومن ثم اتجه قيافا إلى بيلاطس فى يوم الخميس والذى كان فيه بيلاطس قد جلس للقضاء وحكم فيه لاثنتين بالبراءة بينما سجن واحد وأعدم آخر (نفذ فيه الحكم قبل الليل) وتكلم قيافا مع بيلاطس بخصوص يسوع فقد خاته أحد تلاميذه (أو تخلى عنه) وحدد مكان وزمان تسليمه لهم وأن الأمر سيمر بهدوء فوافق بيلاطس مبدئيا ومن هنا جاءت الاجراءات سريعه مخالفة فى ذلك " المشناه " والناموس بل والقانون الرومانى نفسه طلب قيافا من بيلاطس أن يرسل معهم جنودا للقبض على يسوع ولكن بيلاطس نصحه بالاستعانة بجند الهيكل وإذا استدعى الأمر يمكن طلب جنود من قلعة أنطونيا فقد كره بيلاطس أن يقبض على نبي مثلما فعل هيرودس مع يوحنا وكان يهوذا يعرف أين يوجد يسوع " وكان يهوذا مسلمة يعرف الموضع لأن يسوع اجتمع هناك كثيرا مع تلاميذه " (يوحنا ١٨ : ٢) وعندما قاموا بالقبض على المسيح كان معهم مثلما قال القديس بطرس أيضا " أيها الرجال الاخوة كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقال به فم داود عن يهوذا الذى صار دليلا للذين قبضوا على يسوع " (أعمال ١ : ١٦) وبينما كان السيد المسيح يتكلم معهم عن ضرورة الصلاة مع السهر لاح موكب يهوذا ومن معه عن بعد وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب (متى ٢٦ : ٤٧) راجع أيضا (مرقس ١٤ : ٤٢) قوموا لنذهب هوذا الذى يسلمنى قد اقترب ! قبله يهوذا:-

وللأسف لقد اتفق يهوذا مع الذين جاءوا معه على العلامة التى يتعرفون على الشخص المراد القبض عليه وهى القبلة حتى لا يخطئوا الهدف لاسيما والضوء خافت والملاحق متقاربة مع بعض التلاميذ فللوقت تقدم إلى يسوع وقال السلام ياسيدى وقبله (متى ٢٦ : ٤٩) ولقد عاتبه السيد قائلا " أبقبلت تسلم ابن الإنسان ؟ " (لوقا ٢٢ : ٤٨) وكانت القبلة من التلميذ على يد معلمه أمرا مقبولا وشائعا وأحيانا تكون على القدم

ولكنها هنا لامعنى لها بل أن مناداة يهوذا المسيح " ياسيدى " كانت إهانة متعمدة فللوقت تقدم إلى يسوع وقال السلام ياسيدى وقبله (متى ٢٦ : ٤٩) ولم يكن المسيح هاربا فقد أتى إلى ذلك المكان كثيرا (راجع مقالة جثسيماني في هذا الكتاب) بل كان يعلم الساعة " أما يسوع قبل عبد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى " (يوحنا ١٣ : ١)

ولكن لماذا خان :-

هل لأنه وطنى غيور ولذلك خاف على شعبه من المسيح ؟ ولكن هل الغيور على وطنه يأخذ أجرا على هذه الخدمة ؟ أم أنه انضم إلى تلاميذ المسيح بغرض الخيانة ؟ ولكن السيد المسيح هو الذى اختاره ودعاه " ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتمكم لتذهبوا وتاتوا بثمر ويدوم ثمركم " (يو ١٥ : ١٦) . بينما رأى البعض الآخر أن يهوذا بما فعله اشترك في اتمام الفداء ولكن هذا أمر مردود عليه ذلك لأنه ندم ومضى وشنق نفسه أم أنه يأس عندما وجد المسيح قد مات وبالتالي لم يحقق الخلاص الذى ظن يهوذا أنه اشترك فيه ؟ (حسبما ظن البعض مدافعا عنه) ؟ ! ويشير البعض الآخر أن يهوذا وهو التلميذ الوحيد الذى من اليهودية قد أنكر على المسيح أن يكون رئيسا عليه وهو جليلي وربما اعتقد أن يسوع هو نبي مزيف !! ولكن بعض الآراء التى تستحق التفكير تقول إن يهوذا كان يظن في المسيح أنه الجليلي المسيا المنتظر غير أن أمه قد خاب عندما اكتشف أن الحركة مهددة بانتقام وشيك من رؤساء الكهنة بدلا من أن يحكم المسيح إسرائيل وينال هو كرامة من ذلك مثل وزير في حكومة يسوع وربما فعل ذلك أيضا لينجو من عقاب محتمل لبقية التلاميذ بعد التخلص من قائدهم . ثمن الخيانة:-

كانت الثلاثين من الفضة تساوى بحسب تقدير بعض الشراح مئة وعشرين دينارا وهو المبلغ الذى كان يدفع للمالك بدل العبد الضائع إن نطح الثور عبدا أو أمة يعطى سيدة ثلاثين شاقل فضة والثور يرجم (خروج ٢١ : ٣٢) ولكنه ما أن عرف أن يسوع أسلم للصلب حتى أتى إلى رؤساء الكهنة نادما وأسرع ليسجل اعتذاره وأسه للقادة اليهود والذين استخفوا به وعاملوه بازدراء شديد بعدما أمطروه أولا بالمديح والوعود وبعد أن أوهموه بأنه بطل وقديس ساهم في إنقاذ أمة بأسرها وهاهم يظهرهم خستهم وشر قلوبهم واعترفوا بأن الثمن الذى دفعوه هو ثمن دم برئ ولم يحتملوا حتى لمس تلك الفضة حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا فقالوا ماذا علينا ؟ أنت أبصر فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء لهذا سمى ذلك الحقل (حقل الدم) إلى هذا اليوم حينئذ تم ما قيل بارميا النبي القائل (وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثلث الذى ثمنوه من بنى إسرائيل وأعطوها عن حقل الفخارى كما أمرنى الرب) (متى ٢٧ : ٣ - ١٠) فوجئ يهوذا بأنه قد قام بعمل شائن وأنه خائن وأن السيد المسيح لم يسئ إليه بل عامله بلطف وعند القبض عليه قال له بحب " يا صاحب " وتغاضى عن سرقة المال الذى أوتمن عليه " لأنه كان سارقا وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يلقى فيه " (يوحنا ١٢ : ٦) وهو أيضا الذى عاين معجزات المسيح وسمع تعاليمه وتعلمذ عليه كل ذلك تجمع أمام عينيه وقارن كل ذلك بما فعله هو مع سيده وكان أمه الوحيد أن يغير رؤساء الكهنة من خطتهم ويعيدوا يسوع إلى البستان أو يطلقون سراحه أو أن يعتذروا له ولكنهم صدموه باحتقارهم له "ماذا علينا أنت أبصر!! " (أى ماذا يمكننا أن نصنع لك افعل ما تراه أنت حر!!) وهنا خسر يهوذا كل شئ فألقى الفضة في الهيكل ومضى وخنق نفسه ولم تكن خطيته أبشع من خطية بطرس الذى أنكر ولكن بطرس الرسول تاب باكيا بينما يأس يهوذا وقتل نفسه وتقول بعض التقاليد أن يهوذا علق نفسه في شجرة منتحرا وأما ماورد في سفر الأعمال عن أنه سقط على وجهه وانشق من الوسط وانسكبت أحشاؤه كلها فالأرجح أنه بعدما علق نفسه في الشجرة سقط على الأرض وفقت بطنه " فان هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها " (أعمال ١ : ١٨) . والمزمور (٦٩ : ٢٥) بحسب الفولجاتا يربط بين المشهدين فيقول " شنى نفسه انسكبت أحشاؤه " وقد

ذكر الكتاب الإنجليزى د. فردريك فارار فى كتابه " حياة المسيح " أنه عند زيارته للأراضى المقدسة فى ١٨٧٠م رأى " شجرة جرداء كنيبة خبها الريح ويدعونها شجرة يهوذا " **حقل الدم:-**

النبوة الواردة فى سفر زكريا عن حقل الدم أو حقل الفخارى والمنسوبة إلى إرميا النبى (بسبب وجود مجموعة نبوات فى كتاب أشهرها إرميا فنسب الاقتباس إليه) فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا " لا يحل أن نلقيها فى الخزانة لأنها ثمن دم " فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء لهذا سمي ذلك الحقل " حقل الدم " إلى هذا اليوم حينئذ تم ما قبيل بارميا النبى القائل " وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثلث الذى ثمنوه من بنى إسرائيل وأعضوها عن حقل الفخارى كما أمرنى الرب " (متى ٢٧ : ٣ - ١٠) وقد نسبت إلى إرميا النبى لأن اليهود كانوا يسمون مجموعة اسفار الأنبياء باسم سفر أو نبى شهير فدعيت مجموعة الأنبياء هذه أحيانا إرميا مثلما دعيت الكتابات الشعرية والحكمية بالمزامير أو داود أما النبوة كما وردت فى سفر زكريا فهي فقال لى الرب " ألقها إلى الفخارى الثمن الكريم الذى ثمنونى به فأخذت الثلاثين من الفضة والقيتها إلى الفخارى فى بيت الرب " (زكريا ١١ : ١٣) وهكذا اشترى بها القائمون على الهيكل مقبرة للغرباء وفى سفر أعمال الرسل يتضح أن الأمر قد صار معروفا عند جميع سكان أورشليم حتى دعى ذلك الحقل فى لغتهم يقصد الأرامية " حقل دما " أى حقل دم فى العبرية .

دورة يهوذا فى طقس خميس العهد :-

فى بعض تقاليد ريف مصر يصنع بعض الصبية " دمية من القش " ليهوذا ثم يدورون بها فى القرية مبتكين إياه على خيانتته وفى نهاية المطاف يتخلصون منها باشعال النار فيها وفى تقليد آخر كانوا يختارون شخصا يغطون وجهه ويدورون به فى الاتجاه المعاكس متذكرين خيانة يهوذا !! ويسيرون إلى الخلف وبعضهم يحمل الناقوس مقلوبا أيضاً أما فى الطقس القبطى وهو قديم جداً فقد اعتادت الكنيسة أن تطوف البيعة فى الاتجاه المخالف لدوراتها ففي هذه المرة يدورون مع عقارب الساعة فى حين يدورون عادة ضد اتجاه عقارب الساعة ويرى بعض تامةلملين أن الشعب يدور فى الكنيسة ضد الزمن العادى أى فى اتجاه الأبدية بعكس يهوذا الذى خسر أبديته وهى دورة تبكيته ليس الغرض منها تبكيت يهوذا وإدانته قدر أن يكون فى ذلك تعليم للشعب ألا يسلك كما سلكهو وأن كل من يصنع مثل ذلك هو فى عداد المخالفين ولذلك فإن مرد اللحن الذى يقال فى الدورة "لحن يوداس " هو " يهوذا مخالف الناموس " وهو لحن رثائى تميل نغمته إلى البكاء ويروى قصته خيانة يهوذا وتعاونته مع اليهود ضد السيد ولكن السيد المسيح ينتصر على الألام ويقوم من القبر كما يقارن اللحن بدموع بين باراباس اللص والمسيح البار باراباس اللص المدان أطلقوه والسيد الديان صلبوه أما من جهة طقس قلبة يهوذا فقد رتيت الكنيسة ألا تكون هناك قلبة داخل الكنيسة وهو طقس يمارس داخل الكنيسة فقط وإن كان الاقباط قد مارسوه لزمان طويل خارج الكنيسة فى المنزل والعمل حين كانوا أغلبية مسيحية ولكنه الآن فى داخل الكنيسة كوسيلة إيضاح وتذكرة ومحاولة للحياة داخل الحدث نفسه حيث يستمر ذلك من ليلة الاربعاء وهو اليوم الذى تامر فيه يهوذا مع اليهود على المسيح وحتى ليلة عيد القيامة حيث انت صر المسيح على الموت يعلق البعض ويقول ها هوذا السيد المسيح قد قام وانتصر على الخيانة والخونة وهذا حق ولكن الأخرى بالتأمل والتعجب أن الرب جاء فى الأساس ليخلص الجميع بمن فيهم يهوذا نفسه فإذا بالآخر يخونه فيفقد خلاصه ويقتنى له عقوبة وهلاكاً أبدياً .

يبحث عن خاطى بأعجوبة
وهما وحياته أكذوبة
كان عنه أميناً مسئولاً
معه بل ويكون رسولاً
الخائن ينسى هذا وذلك
ليجنى لقب ابن الهلاك

الله بحب وأبوة
عن خائن أضحت أفكاره
يعطيه المال وصندوقاً
يمنحه الشرف ليتلذذ
ولقاء ثلاثين الفضة
ويسلم سيده للموت

الفصل السابع: دار الولاية

بلاط الحاكم (يريتوريون)

(متى ٢٧: ٢٧، مرقس ١٥: ١٦، يوحنا ١٧: ٢٨-٣٣ و ١٩: ١٩، أعمال ٢٣: ٣٥)

حوكم السيد المسيح ليس أقل من ست محاكمات ما بين دينية و سياسية ، و ذلك في اورشليم و أمام هيرودس ، فقد حوكم أمام حنان محاكمة أشبه بالإستجواب ، و أمام قيافا صهره على سبيل أخذ الإقوال ، و أمام مجلس السنهدريم كمحاكمة قضائية ، و كان السنهدريم قد عقد جلسة لمناقشة أمر "يسوع الناصري" غيابياً، و هي مذكورة في (يوحنا ١ : ٥٧) و التي دافع فيها نيقوديموس باستحياء عن المسيح...

و لما انتهوا من المحاكمات الدينية رفعوا الأمر إلى السلطات الرومانية ، ليس احتراماً منهم للقضاء الروماني و إنما لعدم استطاعتهم تنفيذ الأحكام التي يصدرها سنهدريمهم ، و عندما قال بيلاطس "فقال لهم بيلاطس : خذوه أنتم و احكموا عليه حسب ناموسكم" فقال له اليهود: "لا يجوز لنا أن نقتل أحداً". (يوحنا ١٨ : ٣١)، و لم يقل اليهود هذا تعففاً منهم عن القتل ، و إنما لأن الرومان كانوا قد نزعوا منهم حق تنفيذ أحكام الإعدام من عشرات السنين (منذ سنة ٤٠ ق.م).

و عندما فشل اليهود في إستخدام الدين لحض بيلاطس عل قتله، لجأوا إلى السياسة فهددوه بالشكوى إلى القيصر. و بالرغم من أن اليهود قد أعدوا ملفاً جاهزاً للمتهم قدموه إلى بيلاطس ليصادق على حكم الموت ، إلا أن بيلاطس و الذي بدى رافضاً لمشورتهم ، قرر نظر القضية رمتها من البداية ، الأمر الذي أغاظهم كثيراً.

دار الولاية:

قام اليهود باكراً بأخذ يسوع معقيداً إلى دار الولاية ، حيث يجلس بيلاطس للنظر في بعض القضايا المؤجلة ليفصل فيها خلال الأسبوع الذي يقضيه في اورشليم بمناسبة الفصح و بعيداً عن مقر إقامته في قيصرية و هو مقر إقامة الولاية الأربعة السابقين بعد أرشلاوس (خليفة هيرودس و رئيس الرية الذي هو اليهودية). و كان كل منهم يأتي في مناسبات قليلة ، يحتمل أن يحدث فيها شغب بسبب الزحام و إختلاف الطوائف و العرقيات ، لا سيما في أعياد الفصح و المظال....

كان الحاكم يقيم في أحد القصرين اللذين بنهما ببذخ لا يوصف هيرودس الكبير، و يقعان في جنوب غرب التل الذي يقع الهيكل فوقه : "تل الموريا". و قد ذكرهما يوسيفوس في تاريخه بفخر شديد ، ذاكراً أنهما عبارة عن جناحين عظيمين من الرخام الأبيض ، أطلق عليهما لقباً "القيصرين و الأغرييين" و ذلك نسبة إلى أغرياس و القيصر ، كنوع من التملق .

و بين الجناحين فناء واسع شاسع يشرف على منظر عام مبهج لأورشليم ، و قد زين هذا الفناء بأقبية منحوتة و أعمدة ذات ألوان رائعة ، و كانت أرضية الفناء مكسوة بفسيفساء ثمينة ، مزودة بنافورات و حدائق تجتذب أسراب اليمام ، و أحيط بكل ذلك بأسوار و أبراج عالية ، أما من الداخل فقد كانت الحجرات واسعة تسع الواحدة ممئة ضيف ، مزينة بأساس و فراش من الذهب و الفضة .

و بهذا كان الموضع مقراً رائعاً لوال روماني من رتبة الفرسان ، و مع ذلك لم يكن المكان محبوباً للرومان بسبب خطرسة اليهود ، و كأن المكان مقام على فوهة بركان ، غير أن الوالي كان مضطراً، حيث كانت دار الولاية هي أحد هذين القصرين ، أما السيد المسيح فلم تطأ قدماه هذين القصرين خلال مدة خدمته .

هكذا يطلق تعبير "دار الولاية" ببساطة على المكان الذي يقيم فيه القائد الروماني ، وفيه يجتمع "مجلس الحرب" و كرسي القضاء ، وفي الخارج الحرس الخاص بالوالي ، مثلما نقرأ عن شيء مشابه في سفر يهوديت عن الحديث عن "خيمة أليفانا" رئيس جيش الأشوريين.

أدخل ند الرومان يسوع إلى الداخل ليراه بيلاطس عن كثب و ليتفحصه بنفسه ، و كان بيلاطس قد سمع الكثير عن يسوع ولكنه لم يره قط من قبل ، أما اليهود فلم يدخلوا دار الولاية باعتبار المكان نجساً بالنسبة إليهم ، لأن الوالي مقيم فيه (بالرغم من أنه مبنى يهودي !!) و لذلك خرج إليهم بيلاطس ، و لكن أين التقى بهم ؟ لقد التقى بهم في المكان المسمى جبثا .

جبثا:

لفظة آرامية تعني مصطبة ، و تسمى أيضاً البلاط ، ذكره القديس يوحنا (١٩ : ١٣) ، و هو مكان مرتفع و مكشوف ، إلى هذا المكان خرج بيلاطس إلى اليهود المتربصين بالمسيح يحرضهم رؤساء اليهود ، و الذين وقفوا أمامه هنا في تحدي ، فنظر إليهم نظرة غاضبة قائلاً "أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان؟" (يوحنا ١٨ : ٢٩).

و من "جبثا" أقام بيلاطس منبراً لمحاكمة السيد المسيح أمام الشعب ، و تنقل مرارا ما بين الداخل حيث يوجد يسوع يستجوبه ، و الخارج حيث يوجد الشعب المسكين الذي يحركه و يحرضه الرؤساء ، الذين أظلمت قلوبهم و أغلقت أعينهم عن الحق ، يحاول و يواصل التفاهم معهم أملاً في أن يخلص يسوع من بين أيديهم بأقل ثمن يدفعه هو !!.. لذلك نجد في الصور و الأفلام السيد المسيح واقفاً أمام أحد الأبواب ، و هو باب دار الولاية ، أمام منصة الحكم التي اختارها بيلاطس و التي هي جبثا المذكورة هنا (أو البلاط). و قد اكتشف العلماء هذا المكان حيث اتضح أن مساحته حوالي ٢٦٠ م مكعب ، و وجد تحت دير و كنيسة "سيدة صهيون".

في هذا المكان اجتمعت الأطراف كلها ، الخالق و خليقته، القاضي في موضع الاتهام بينما العاه المجرمون الحقيقيون يقيمون من أنفسهم قضاة له!. بيلاطس جالس في ثياب ملكه متألهاً ، بينما الإله الحقيقي الذي "لم يحسب خلصة أن يكون معادلاً لله" (فيلبي ٢ : ٧) واقفاً منهوك القوى ، رث الثياب ، مثيراً للشفقة !!.. اليهود الذي جاء ليخلصهم يعجلون بالمهمة دون أن يدروا !، و لكنهم رفضوا ، لأنه "إلى خاصته جاء و خاصته لم تقبله". (يوحنا ١ : ١١)، فحكموا على أنفسهم بالرفض ، بل لقد كان بيلاطس أقل شراً منهم لذلك قال السيد المسيح لبيلاطس "لذلك الذي أسلمني إليك له خطية أعظم (يوحنا ١٩ : ١١). و كان بتدبير من الله أن يشترك اليهود مع الرومان في الحكم على السيد المسيح ، فقد اشتركوا معاً في الذبيحة ، كما أن اشترك الرومان و في موت السيد المسيح ، جعل المون موت الصليب بحسب تدبير الله السابق...

الفصل الثامن: بيلاطس البنطي

هو الوالى الذى حوكم أمامه السيد المسيح ، و الاسم " بيلاطس " معناه " المتسلح برمح " ، كما أطلقت اللفظة على " القلنسوة المصنوعة من الجلد " والتي رمزت إلى العبيد المعتوقين ، كما تأتى اللفظة أيضاً بمعنى " أصلع " أو " فظ خشن " أما " بنطى " فهي نسبة إلى عشيرة البنطيين التي كانت معروفة فى شمال ووسط إيطاليا فى جميع الطبقات الاجتماعية ، و قد شغل رجالها مراكز مرموقة ، كما كان لهم تمثيل فى مجلس الشيوخ ، ينتمون الى عائلة السامنيين على جبال ابينين .

ولد بيلاطس وهو الوالى الخامس على اليهودية سنة ١٠ ق.م . فى روما ، والبعض يقول فى سيفيل (أشبيلية) ، و قد عمل ضمن الحرس الامبراطورى ، خدم فى ألمانيا ، و قضى فترة فى روما بعد انتهاء مدته ، و كان عليه إما أن يترك السياسة فيتحول الى الأعمال الحرة أو يواصل فى الخدمة العسكرية ليترقى حيث يصبح وزيراً أو مسئول مقاطعة .

أما عن شخصيته : فقد ورد عنه أنه جاد الملامح مربع الوجه ، شعره مجعد رمادى داكن . وحين توجه إلى اليهودية كان فى سن الخامسة والثلاثين ، وكانت هيئته رومانية مثالية ، و كان سجله العسكرى مشرفاً ، عمل فى ادارة عسكرية مع الفيلق الثانى عشر وقام بإخماد ثورة كبيرة – من خلال الخطابة والقوة معاً . امتدحه سيجانوس المسئول الرومانى الكبير آنذ وأسهم ذلك فى شهرته . كيف تعين والياً على اليهودية:-

كان فاليريوس جانوس ، الذى تولى حكم اليهودية لمدة إحدى عشرة سنة ، قد مل من اليهودية ، ووافق الامبراطور طيباريوس قيصر على استبداله ، واقترح سيجانوس اسم بيلاطس ، فوافق ، ووصل راتبه السنوى مائة ألف سسترس (عشرين ألف دولار) مع الوعد بالزيادة متى نجح فى مهمته ، وكان بيلاطس يعرف جيداً أنه لا راحة بين روما واليهود ، منذ أن غزاها بومباى قبل تسعين عاماً قام اليهود خلالها باثنتين وعشرين ثورة قتل فيها الكثيرون ، وتوجب عليه أن يأخذ معه خمسة كتائب (فى حين كان مع جاليريوس فى مصر وهى لا تقل أهمية فيلقين وذلك بسبب خطورة وضع مصر) وعندما طلب بيلاطس فيلقاً رفض الامبراطور ، هذا وقد قام " اينوس روفوس " والذى حكم اليهودية من سنة ١٢ إلى ١٥ م . بمساعدة بيلاطس فى تكوين فكرة عن اليهودية . كان أغسطس قيصر قد قام فى سنة ٢١ ق.م بتقسيم المقاطعات التابعة له إلى مجموعتين (الأولى أطلق عليها "مشيخية" وهى المقاطعات الهادئة ، مثل صقلية واليونان ، والثانية "مقاطعات إمبراطورية " وهى التابعة للقيصر شخصياً ، ويرسل لها واحداً من رتبة الفرسان) هذا وقد فرح بيلاطس بالتعيين ، وأوصاه سيجانوس بالضغط على اليهود لأن حزب " أغريبيننا " المنافس لحزبه يتعاطف مع اليهود فى روما .

أهمية اليهود بالنسبة لروما :-

تعتبر اورشليم هى العاصمة الدينية لستة ملايين يهودى فى العالم (يمثلون فى ذلك الوقت سبع سكان الامبراطورية) كما أنها تسيطر على الخط التجارى والاتصالات بين افريقيا وآسيا نظراً لموقعها المتميز ، كذلك فقد كانت مقاطعة غير مستقرة ، تكثر فيها الثورات والشغب ، وكان على بيلاطس التحلى بالحكمة والتفاهم ، وجمع الضرائب والتي بلغت فى ذلك الوقت "مليونى سسترس" وقد صادق طيباريوس قيصر على تعيين بيلاطس فى منتصف عام ٢٦ م (فى السنة الثانية عشرة من ملكه).

تزوج بيلاطس من "كلوديا بروكولا" وترجع اللفظة الى اسم رومانى شائع من عشيرة "البروكليين" كان والدها صديق طيباريوس وربما قريبه ، ويظن البعض أنها ابنة غير شرعية للزوجة الثالثة لطيباريوس ، عاشت فى قصرها حياة باذخة ، ومع ذلك فقد كانت متدينة تؤمن بالآلهة والأرواح ، تعاطفت مع يسوع لما سمعته عنه من صديقاتها اليهوديات وتمنت لو تخلص بيلاطس عن محاكمة يسوع المسيح .

بيلاطس فى اليهودية:-

عندما كان بيلاطس فى الميناء يستعد للإقلاع الى قيصرية ارسل له الإمبراطور خاتماً عليه نقشه وأرسل اليه سيجانوس حلة عسكرية كهدية ، استقل بيلاطس سفينة تدعى "تردنت" ومعها سبع سفن أخرى إلى الاسكندرية ، هناك استضافه حاكمها جاليروس أسبوعاً.

وكان أغسطس قيصر قد نفى أرشيلالوس (أو أرخيلالوس بن هيرودس الكبير) بعد فشله، وعين بدلاً منه "كوبونيوس" سنة ١١م ، واستمر أربع سنوات . ومن بعده "أميفيوس" واستمر ثلاث سنوات ، ومن بعده "إينوس روفوس" الذى حكم لمدة عام واحد ، فلما مات أغسطس وملك طيباريوس من بعد عين "فاليريوس" سنة ١٥م . فاستمر لمدة إحدى عشرى سنة . كان الجيش الذى يتبع بيلاطس فى البداية صغيراً ، واقام هو فى قيصرية ، وكان نطاق ملكه : السامرة ، وأورشليم حتى غزة والبحر الميت جنوباً ، وكانت له سلطات واسعة ..على الرغم من ذلك فقد كان تحت رئاسة "قتليوس" حاكم سوريا والحاكم العسكرى العام فى الشرق.

سياسته:-

رغم وصف بعض المؤرخين له وصفاً سلبياً ، فإن الكتابات المتأخرة تتعاطف معه وترى فى استمراره أحد عشر عاماً دليل نجاح ، وقد أدار الكثير من الأزمات بحكمة ، والعجيب أن السامريين هم الذين تسببوا فى اقصائه عن الحكم وليس اليهود.

مشكلة الألوية :-

استبدل بيلاطس فرقة الجيش فى أورشليم بتلك التى فى قيصرية، والفرق ان فرقة أورشليم كانت "فرقة سبسطية" أما الأخرى فكانت "فرقة أغسطسية" وهذه منحت شرف هذه التسمية "الأغسطسية" لإخمادها ثورة اليهود الغيورين (الطائفة المسماه زيلوت) قبل مجيء بيلاطس ، وهذه الفرقة الآتية من قيصرية كان بحوزتهم أيقونات ورايات القيصر وهو ما اعتبره اليهود علامات وثنية.

فى الصباح لاحظ اليهود من خلال شرفات القلعة التى سكنتها الفرقة وجود الرايات والأيقونات فثاروا لأنها ضد الشريعة واعتبروا وجودها تحد لمشاعر الشعب ، ونصح بيلاطس بتجاهلهم ولكنهم تجمهروا بأعداد كبيرة ولمدة سبعة أيام ، وأرسل لهم رداً عن طريق قيافاً يقول أن الرايات تخص روما وليست اليهود ولا داعى لاستنتاجات دينية منها وهم غير مطالبين بعبادتها كما أن إزالتها تعتبر عقاب جماعى للفرقة كلها وإهانة للقيصر نفسه . طلب الاجتماع بهم فى الاستاد وهناك هددهم بالقتل فرحبوا بذلك وهنا اضطر إلى إرجاع الفرقة إلى مكانها ، فرجعوا فرحين ينشدون أناشيد النصر .

مشروع المياه:-

وهو المشروع الذى أراد أن يموله من خزينة الهيكل، ولكن اليهود واروا ثوراتهم الثالثة والعشرين ضد روما واستطاع بيلاطس بحيلة أن يستولى على الأموال الآتية من بابل كتقدمات للهيكل ، وهنا ثار الحجاج الجليليون عندما جاءوا فى الفصح وعلموا بما حدث ، فأعمل الجنود الرومانيون السيوف فيهم ، وهذا هو المقصود بان بيلاطس خلط دماء الجليليين بذبائحهم (لوقا ١٣ : ١).

بيلاطس والمسيح:-

اعتبر بيلاطس المسيح فيلسوفاً يحث على الفضيلة ولم يبلغ عن أى شغب بخصوصه، والرومان بشكل عام لم يضطهدوا المسيحيين (على الأقل فى البداية) إلا بسبب شكاية اليهود ضدهم ، اما الأسباب التى عرضوها امام بيلاطس لمحاكمته ، فقد كانت كسر السبت ومحبة للعشارين وتحامله على الرؤساء ، فلما رأوا أنها أسباب لا تحرك الوالى ضده عادوا فـ "سيسوا" القضية مقحمين فيها روما قائلين إنه يجعل من نفسه ملكاً! ، ولما خشوا أن يقبضوا عليه فى العيد لنلا يتعاطف الحجاج معه فقد قرروا إرجاء ذلك إلى ما

بعد الفصح ، وبسبب ما حدث فى ثورة سنة ٣ ق.م ومقتل ثلاثة آلاف حاج ، بدأ الحكام فى ترك مقارهم فى قيصرية فى موسم الفصح والمجىء الى اورشليم.

فى الثانى والعشرين فى فبراير أصدر السنهدريم أمراً بالقبض على يسوع ، يقول الأمر : "مطلوب القبض عليه ، سيرجم لأنه مارس السحر ، وأغوى اسرائيل ، اى شخص يعرف عنه شيئاً يبلغ ، أى شخص يود الدفاع عنه ليتقدم " إلى ذلك أشار القديس يوحنا "وكان أيضاً رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا أمراً أنه أن عرف احد أين هو فليدل عليه ، لكى يمسكوه " (يوحنا ١١ : ٥٧) ولكن يهوذا عجل بالقبض عليه قبل العيد ودون قلق، وهذا هو السبب فى سرعة الإجراءات والتي تخطت الكثير من قوانين المشناه. ومنذ إقامة لعازر وتساؤل الجموع فى موضع آخر : " لعل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التى عملها هذا ؟" (يوحنا ٧ : ٣١) ، بل لقد حاول عشرون ألف منهم قبل ذلك المندادة به ملكاً بعد معجزة إشباع الجموع ، العجيب أن الصدوقيين وضعوا أيديهم فى أيدي الفريسيين بعد إقامة لعازر لأنها تناقض عقيدتهم بخصوص قيامة الموتى !!

انعد السنهدريم سريعاً لنظر القضية ! قائمة الاتهامات هى : نبي مزيف – ساحر- تعليم بدين جديد- يناقض شريعة موسى- يقوض الأصول الدينية القومية- يدعى أنه المسيح المنتظر- ادعى انه ابن الله . ومجمل التهم أنه (مجدف) . وقد حسم رئيس الكهنة الأمر بسؤاله : " أستحلفك بالله الحى ان تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟" قال له يسوع : "انت قلت!" (متى ٢٦ : ٦٣ و ٦٤) . فشق ذاك ثيابه . وفى الصباح جرت محاكمة أخرى بعد انضمام اعضاء جدد وبعدها اوثقوه ليسلم الى بيلاطس . أمام بيلاطس:

كان بيلاطس قد كلف السنهدريم بجمع أخبار يسوع ، وفى المحاكمة الأولى لم يجد ما يستحق عليه الموت ، بل مجرد خلاف حول تفسير الناموس، وقد ادعى اليهود انه مناهض لروما وللقيصر ، ولكن إذا كان الأمر كذلك كما يقولون ألا يكون هو الشخص الذى يريده اليهود !! فلما هذا التناقض؟ اما بخصوص اتهامه بالخيانة ، كان قد صدر قانون الخيانة فى روما سنة ٤٦ ق.م حيث يقضى بإعدام كل مناهض للدولة او القيصر .

(وكانت اليهودية قد أصبحت ولاية رومانية منذ ٦ ق.م) وأما بخصوص الجزية فقد خضعت اليهودية لها منذ سنة ٦٣ ق.م . ولما رفضوا دفعها قامت حرب ٧٠ م.

عندما جلس بيلاطس ليحاكم بالمسيح فوجىء بشباب نبيل ، وسيم، مهيب الطلعة ، فخاف منه! كان ذلك فى الصباح بعدما أوثقوه وارسلوه إليه، فسأله : "أنت ملك اليهود؟" وأجابه السيد: "آمن ذاتك تقول هذا .. ام أن الأمر انتهى " (يوحنا ١٨ : ٣٣ و ٣٤) واتجه الى اليهود يسألهم : " أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان ؟" وبدا لهم من السؤال أنه قد قرر نظر القضية برمتها !! حيث لم يكن الاتفاق بينهم هكذا ليلاً بل ان يصادق بهدوء على الحكم بموته فحسب ، وتضايقوا وقالوا : " لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك!" (يوحنا ١٨ : ٢٩ و ٣٠) ، وقالوا ذلك مستنكرين من جهة ، ولكى يطمئنوه من جهة أخرى ، ولم يجد بيلاطس ما يستحق عليه الموت فحفظه عنده فى دار الولاية (خوفاً عليه) ، ولكن خطية بيلاطس أنه لم يقم العدل (يقول القانون فى روما : أقم العدل ولو انطبقت السماء على الأرض) ، واقتحمت بروكولا سير القضية وأرسلت إليه قائلة : " إياك وذلك البار ، لأنى تألمت اليوم كثيراً فى حلم من أجله" . وقد تسبب ذلك فى جعل بيلاطس يتأنى فى نظر القضية اكثر ، بينما رأى اليهود فى ذلك توكأ منه ، وفى النهاية صرح بيلاطس : " إنى برىء من دم هذا البار ! " (متى ٢٧ : ٢٤) ، ومن ثم قام يغسل يديه . عند ذلك أطلق اليهود السهم الأخير فى جعبتهم وهددوه قاتلين : "إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر!" (يوحنا ١٩ : ١٢) وكانت عقوبة تلك الخيانة وتسمى Crimen Case saris هى الإعدام ، وعلى العكس منها "محب للقيصر " Amicus Caesaris وتعنى قدم اعمالاً جليلة للقيصر والدولة ، هى المكافأة الكبيرة، هنا فقد غير بيلاطس موقفه وتغير بالتالى سير القضية.

موقف المسيح من بيلاطس:-

احترم السيد المسيح بيلاطس كموظف فى الدولة وتركه يعمل عمله ، ولكنه صحح له مفهوم السلطان وملكوته الابدى ، فعندما قال بيلاطس له : ".....ألست تعلم أن لى سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك؟" أجاب يسوع : "لم يكن لك على سلطان البتة ، لو لم تكن قد اعطيت من فوق " (يوحنا ١٩ : ١٠ و ١١) .

محاولات إطلاق سراحه:-

"من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب ان يطلقه " (يوحنا ١٩ : ١٢).

تحويل القضية الى هيرودس عندما سمع انه جليلي، ولكن هذا رفض بدوره لئلا يكرر مأساته مع المعدادان. قدم حلاً وسطاً بجلده واطرق سراحه ، ولكنهم رفضوا (لوقا ٢٣ : ١٦ ، يوحنا ١٩ : ١) . اعلانه ان المتهم برىء (لست أجد فيه علة).

احكموا عليه بحسب ناموسكم (ليبرر نفسه) ولكنهم رفضوا أيضاً متعللين أنه ليس من حقهم قتل أحد. غسل يديه وهى العلامة المعروفة للتبرأ من أمر ما.

كما عرض عليهم صفقة استبدال باراباس بيسوع ، ولكنهم أصروا على العكس.

استعطاف بيلاطس للمسيح (لى سلطان أن أطلقك) ولكنهم هددوه بأنه ليس محب للقيصر.

هذا وقد صلب المسيح فى ٣٠ أبريل ٧٨٦ رومانية = ٢٩م وقد سمي ذلك العام فى روما بعام الكساد الاقتصادي ، ولكنه سمي فيما بعد بعام "احداث اورشليم".

بعد الصلب:-

يقول التقليد أن بيلاطس رأى فى يديه دمًا، فلما غسلهما صار الدم يصرخ : "أنا برىء من دم هذا البار " . وعندما كتب اللافتة "يسوع الناصرى ملك اليهود" كان يعبر عن سخريته وضيقة من اليهود، فها هو ذا ملككن معلق على الصليب، وان سلطان روما على اليهود ، فهى قتلت حتى الذى قيل أنه ملك اليهود ، وإن الذى حسب ملكاً عليهم صلب! فلما احتجوا عليها رد كطفل عنيد غاضب : "ما كتبت قد كتبت" (يو ١٩ : ٢٢).

وفى المساء جاء يوسف يستأذن بدفن الجسد – مرقس (١٦ : ٤٢-٤٥) – فتأثر بيلاطس أنه مات هكذا سريعاً وسمح له بذلك ، اما اليهود فقد فرحوا لحظة بموته غير أن الفرحة لم تدم فقد تذكروا نبوته بأنه سيقوم فى اليوم الثالث ، ومن ثم عادوا الى بيلاطس (مثل الذباب الزنان !!) يطلبون الأمر بحراسة القبر لئلا يسرق تلاميذه الجسد ثم يشيعوا أنه قد قام ، ونفذ صبر بيلاطس وانتهزهم بقوله : "عندكم حراس، اذهبوا واضبطوه كما تعلمون" !! (متى ٢٧ : ٦٥) . وظل اليهود مذعورين ولما سمعوا أنه قام وحاولوا رشوة الجنود ليكذبوا أو يصمتوا.

آخر أخبار بيلاطس :-

لم يتابع بيلاطس قضية يسوع وابتاعه فيما بعد ، بل نسيها كلية ، ولكن محور تقريره المرفوع الى القيصر فى تلك السنة كان قضية يسوع الناصرى، أما نهايته فقد كانت عندما تسلم خطاب "مارشيلوس" والى سورية والمسئول عنه، فسلم الحكم واتجه الى روما (وما لم يستطيع اليهود فعله قام به السامريون) حيث توجب عليه الدفاع عن نفسه فى قضية "مذبحة بلا مبرر" . وإن كان استمراره فى الحكم إحدى عشر سنة يمثل نجاحاً بذاته!.

الصدام مع السامريين:-

بنى هيكل السامريين فى أيام الاسكندر وعين منسى رئيس مهنة له ، ولكن يوحنا هركانوس قام بتدميره سنة ١٢٨ ق.م كان السامريين فى انتظار مخلص، حتى ظهر شخص يدعى النبوة (أسمى نفسه :موسى الثانى) وأشاع اكتشاف بعض محتويات التابوت حيث وضعها موسى فى أحد الكهوف ، وزعم ذلك المضل

أنه سيغلب سبعة أمم ويهزم الرومان ، ثم يعيد الى اليهود مكانتهم ويبنى الهيكل ، واحتشد الناس عند قرية ثروتانا،

خشى بيلاطس من الفتنة فأرسل بيلاطس فرقتان لا سيما وقد علم ان الثوار مسلحون ، واصطف جنود بيلاطس على جانبي الطريق ليلة صعود الثوار عليه، ووصل النبي الكاذب صباحاً الى بداية الجبل وراح يصيح ويزار، واستنكر بيلاطس ذلك، ونشبت الحرب، وقاتل القائد السامري ببسالة ، ولكن الرومان حسموا المعركة وقتلوا كثيرين واسروا الباقين وهكذا هلك النبي واعوانه، ولكن شكوى قدمت لفليكوس من السامريين وأرسلت الى روما ، وأمر بيلاطس أن يتوجه الى هناك للدفاع عن نفسه أمام ولاية السامرة ، أمر كاليجولا بعزل بيلاطس من وظيفته فقط، على أن يحيا كمواطن عادي في روما ، أى لم يحكم عليه ، ولكن بعض المصادر تفيد بأنه نفى وانه انتحر ياساً إذ أجبر على قتل نفسه، ولكن يوسيفوس يقول أنه عاش نهاية حياته في شقوق جبل (يسمى جبل بيلاطس).

هذا وقد أشارت الكنيسة منذ البداية الى أن بيلاطس، وان كان قد جبن فأمر بصلب المسيح ، إلا ان تبعة قتلة تقع على اليهود أولاً، الى ذلك أشار القديس بطرس قائلاً : " الذى أسلمتموه أنتم وانكرتموه أمام وجه بيلاطس وهو حاكم بإطلاقه" (اعمال ٣ : ١٣) ، كذلك يقول العلامة أوريجانوس أن اليهود هم الذين صلبوه وليس بيلاطس . ورغم أن بعض المصادر تفيد بأنه آمن بل وصالاً شهيداً بحسب تقليد قبطى حيث يعيد له فى ٦/٢٥ أما اليونانيون فيعيدون له فى ١/٢٧ ، لكن الأدلة غير كافية حتى الآن لتأكيد هذه التقاليد (راجع كتابنا بيلاطس البنطى).

الفصل التاسع: بروكولا

زوجة بيلاطس .. الخائفة الرب

هى واحدة من شخصيات الظل فى دراما الصلب، إنها وثنية غم محاولات البعض القول بأنها مسيحية او يهودية فى ذلك الوقت ، ولكن فيما يخص إن كانت قد صارت مسيحية ، فمن وجهة نظرنا ان هذا لم يحدث قبل صعود السيد المسيح، ولكن ورغم أنها وثنية فى وقت احداث القبض على المسيح ومحاكمته ، إلا انها متدينة بشكل عام، وتخشى الآلهة وتتأثر بالمعجزات ولها قلب طيب. وعندما عين طيباريوس قيصر بيلاطس والياً على اليهودية بتوصية من سيجانوس (رجل القصر القوى) كان بيلاطس ما يزال خطيباً لـ "بروكولا" وكانت هى ما تزال فى السابعة عشر من عمرها.

بروكولا:

اسم تائيث لعشيرة تسمى البروكليين ، مثل قولنا سامرية (أى تتبع عشيرة السامريين) وقد شاع اسم بروكولا Procula من بروكليا Proculia ، أما اسمها الكامل فهو "كلوديا بروكولا" وفى بعض المخطوطات العربية (مثل مخطوطة بيلاطس البنطى الموجودة فى دير ماجرجس بحارة زويلة) جاء اسمها : "أباركل" العجيب أن الاسم بروكولا مقتبس من لفظة تعنى "منبوذة"!

كان جد بروكولا شخصاً مشهوراً يدعى "جرايوس بروكوليوس" ، وكان صديقاً لأغسطس قيصر ، وربما كانت هناك صداقة او صلة قرى بين العائلتين ، حيث ورد فى بعض المصادر التاريخية ان بروكولا هى ابنة "كلوديا" الزوجة الثالثة لطيباريوس قيصر، وبذلك تكون بروكولا حفيدة أغسطس قيصر..

ورثت بروكولا مقر العائلة بالقرب من "ميسينا" حيث تربت مرفهة متدينة، فى حين لم يكن بيلاطس متديناً (وان لم يكن متعصباً بطبعه ضد أية ديانة) وكان أمر أغسطس قيصر يقضى بتفضيل الوالى الأعزب على الوالى المتزوج، وفى حالة كونه متزوجاً وجب عليه ترك زوجته فى روما ، وقد خفف طيباريوس قيصر من حدة هذا القانون رغم إبقاءه عليه، وهو نفس القانون الذى يفرض على البحار ترك زوجته وعدم اصطحابها معه فى رحلاته، وتفضيل عدم وجود الموظف وزوجته فى وظيفة واحدة ، وقد استراح كل من ازواج وزوجات اولئك الولاة الرومان لهذا القانون ، حيث كان كل طرف فى غنى عن رقابة الطرف الآخر فى وقت انتشر فيه الانحراف والخلاعة ، غير أن زوجة بيلاطس أثرت البقاء الى جوار زوجها، وقد يعكس هذا محبة احدهما للآخر وكذلك محبة بروكولا نفسها لاستقامة السلوك. عندما تزوج بيلاطس من بروكولا لم تكن عائلته فى مستوى ثراء عائلة البروكليين ،ولكن جمع العائلتين حبهم للفروسية ومالها من التاريخ العسكرى . وقد تزوجا فى ١٤ يونيو سنة ٢٦ ميلادية.

وعندما وصلت اليهودية صارت لها علاقات حميمة مع نساء قيصريّة وأورشليم ،واهتمت بقضايا الولاية ، ولكن مع ذلك لم يكن بيلاطس يقبل الأخذ برأيها كثيراً ، وازدانة الى عشقها للفنون والثقافة فإنها كانت أيضاً تخشى الآلهة ، فلما سمعت بيسوع الناصرى أدركت انه ينتمى الى الآلهة ، وتأثرت به وتعاطفت معه عندما لاحظت معاداة اليهود له، وعند القبض عليه ومحاكمته تمت لو أن بيلاطس ينسحب ويتخلى عن محاكمته ، ويظن البعض أنها اهدت الى اليهودية وهى ما تزال بعد فى روما.

حلم بروكولا:-

أتاحت الحفلات الكثيرة التى شاركت فيها بروكولا على مدار ثلاث سنوات التعرف عن كثب على شخصية المسيح وتعاليمه ومعجزاته، ومن ثم شعرت أنه يمكن ان يكون نبياً وربما إلهاً ، ومن هنا تحمست لقضيته وهابته وأحبته . ولا شك أن أحاديث طويلة دارت بين بيلاطس وبروكولا ، خلال الامسيات وبعيداً عن العمل والرسميات ، عن شخصية يسوع المسيح وما يدور حوله من جدل، ومن المؤكد ان أهم تلك الأحاديث تلك التى دارت ليلة محاكمته، لاسيما بعد تلك الزيارة المشبوهة عندما مر رئيس الكهنة قيافا به فى منزله للاتفاق على تشوية القضية لصالح اعداء يسوع..

بكر بيلاطس فى الخروج إلى دار الولاية بينما كانت هى ما تزال فى فراشها ، وقد استيقظت لاحقاً من نومها مذعورة ، فأرست وتناولت قرطاساً وربما قرصاً من الشمع (وهى طريقة متبعة فى ذلك الوقت فى المراسلات) لتكتب رسالة تحذيرية توسلية حملتها لأحد حراسها إلى بيلاطس وهو جالس على كرسى القضاء : "إياك وذلك البار ، لأنى تأملت اليوم كثيراً فى حلم من أجله" (متى ٢٧ : ١٩).

ولم يكن من المؤلف أو اللانق ان تقطع جلسة رومانية على هذا النحو كما لم يحدث ان ارسلت زوجة حاكم رومانى الى زوجها تحذره او تستعطفه هكذا .. وكان القانون الرومانى يحرم بشدة أية إشارة أو رسالة أو إيعاز من شأنه التأثير على سير القضية ، حيث يعاقب بشدة من يقدم على ذلك.

اضطرب بيلاطس وتضائق حالما فض الرسالة وقرأها ، ومع ذلك فقد اسهمت هذه الرسالة وهذه اللفتة فى زيادة محاولات بيلاطس لتخليص المتهم والواقف امامه من الموت ، حيث بثت فيه الرسالة روح العدالة الرومانية والتي تقول "أقم العدل ولو انطبقت السماء على الأرض" ومن ثم راح يدرس القضية بتدقيق أكثر ، مما ضائق اليهود .. وربما ظن بعضهم أنه قد أتته رسالة من رئيسه بهذا الخصوص.

ويرد فى كتاب نيقوديموس (وهو كتاب أبوكريفي) : قال بيلاطس لليهود "تعلمون ان زوجتى وثنية ، وانها بنت لكم مجامع كثيرة ، لقد انبأتنى بان يسوع رجل صديق وأمها تأملت من أجله فى حلم " .. ورد اليهود "قلنا لك ان يسوع الناصرى هو رجل ساحر وهو الذى أرسل حلماً إلى زوجتك ، وقال بيلاطس ليسوع "ما رأيك فيما يقولون؟" فقال : " لو لم تكن لهم قدرة على الكلام لكان أفضل لهم..".

وحاول بيلاطس تخليصه من ايديهم ففضل ، وحاول فى المقابل تحويل القضية لهم ولكنهم رفضوا لنسبوا قتله الى الرومان ، وكان قد نزع منهم حق تنفيذ حكم الموت فى أى شخص منذ سبعين سنة مضت من ذلك الوقت ، وإن كانوا قد كسروا هذا الأمر بقتلهم استفانوس بعد ثلاث سنوات فقط ودون الرجوع الى الرومان .. ويكون متى قتل الرومان يسوع ان ينسب هذا القتل لجريمة تتعلق بامن روما لا ناموس اليهود !! وكما أرسلت بروكولا معلنة "إياك وذلك البار" فقد هدف بيلاطس "إنى برىء من دم هذا البار!..." (متى ٢٧ : ٢٤)

بقية اخبار بروكولا:-

نسمع بعد ذلك عن هياج أهل السامرة ضد بيلاطس قتله عدداً كبيراً منهم، وأنهم قد قدموا شكاية ضده للإمبراطور سنة ٣٦ م .. حيث أمر بنفيه وهو زوجته ، ويرد فى بعض التقاليد ان بروكولا والتي تتبعت خطوات المسيح وتعاليمه، إبان وجوده على الأرض قد تحولت إلى المسيحية بعد ذلك. وإذا صدقت التقاليد التى تفيد بان كلاهما قد صار مسيحياً فستكون بروكولا قد آمنت أولاً.

الفصل العاشر: باراباس

ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس: "من تريدون ان أطلق لكم؟ باراباس أم يسوع الذي يدعى المسيح؟" (متى ٢٧: ١٧)

هو الشخصية التي يضعها الكثيرون في المقارنة مع المسيح في أحداث الصلب، ومن الطريف ان نعرف ان الاسم الكامل لباراباس هو "يسوع باراباس" مقابل "يسوع المسيح"، وعندما سألهم بيلاطس هل يطلق لهم باراباس أم يسوع المسيح كان في الواقع يقصد "يسوع الذي يدعى باراباس أم يسوع الذي يدعى المسيح؟"

وقد كتب اورجانتوس في تفسيره لإنجيل القديس متى عن باراباس ان اسمه بالفعل "يسوع تيريوس باراباس" وذلك بحسب المخطوطات، وتفسير الاسم باراباس هو: "ابن اباس" أو "بار ريان" ومعناه "ابن المعلم" حيث كان أبوه معلماً كبيراً في ذلك الوقت، وفي اللغتين العبرية والعربية ينطق "ابن عباس".!

باراباس ينتمي إلى حزب الغيوريين "حزب زايوت"، وهي طائفة من بين طوائف اليهود (فريسيون . صدوقيون . ناموسيون . كتبة هيرودسيون . اسينيون . غيوريون) وهو حزب او طائفة مالت الى استعمال السلاح، وقد اصطدموا ببيلاطس البنطى أكثر من مرة أثناء حكمه وقتلوا كثيرين، وقتل بيلاطس منهم كذلك الكثيرين، ومنهم القديس سمعان الغيور حيث ترك طائفته وتبع المسيح "متى وتوما . يعقوب بن حلفى وسمعان الذي يدعى الغيور" (لوقا ٦: ١٥) وقد ضاق بهم تيطس ذرعاً فقضى عليهم سنة ٧٠ م بعد تدمير اورشليم.

لماذا سجن باراباس:-

لم يكن باراباس نبياً كاذباً فحسب (شأن المسحاء الكذبة في تلك الأيام)، بل كان ثائراً عنيفاً عنيداً، وكان يحظى بحب اليهود وتقديرهم، وعلة ذلك كرهه للرومان ومقاومته لهم، ولد باراباس غالباً سنة ١٥ ق. م، إذا كان عمره عندما أطلق بيلاطس سراحه خمسة وأربعين عاماً، وينسبون لقبه إلى تسميته لنفسه "بار أباس" (ابن المعلم) ويقول الكتاب عنه انه مثير فتنة وأنه قبض عليه مع رفاقه "وكان المسمى باراباس موثقاً مع رفاقه في الفتنة، الذين في الفتنة فعلوا قتلاً" (مرقس ١٥: ٧) ويضيف القديس لوقا أنه ارتكب جرائم قتل "فأطلق لهم الذي طرح في السجن لأجل فتنة وقتل، الذي طلبوه وأسلم يسوع لمشينتهم" (لوقا ٢٣: ٢٥) ومع أن البعض رأى أنه كان رئيس عصابى وقاطع طريق، إلا أن الأرجح أنه قام على رأس جماعة من الغيوريين بحركة تمرد محدودة ضد الرومان، فإنه من الصعب أن يحكم الرومان على رجل بالصلب لمجرد أنه لص، وقد قام الرومان بسحق هذه الحركة وربما تحفظوا على باراباس ليساوموا اليهود عليه عند الحاجة.

ولكن لماذا قام باراباس بحركة التمرد هذه؟ ويرد بعض المفسرين أنه ثار ضد الرومان بسبب انهم استخدموا بعضاً من أموال الهيكل في مشروعات مدنية، وهو نفس السبب الذي جعل الجليليين في مناسبة أخرى يتظاهرون في الهيكل في الفصح عندما سمعوا ان بيلاطس قد استولى على أموال الهيكل الآتية من بابل، حيث قتل كثيرون منهم في المكان الذي تباع فيه الذبائح في الهيكل "وكان حاضراً في ذلك الوقت قوم يخبرونه عن الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم" (لوقا ١٣: ١)

وفي المحاكمة:-

عرض عليهم بيلاطس ان يطلق سراح يسوع، حيث أنه شخصية أهم ومثيرة جدل أكثر، وذلك رغبة منه في جعل العيد أكثر بهجة، وكانت العادة أن يطلق لهم معتقلاً هاماً يكون للافراج عنه صدى بين الأمة، ولكن اليهود من ناحية كانوا يسعون كثيراً في اطلاق سراح باراباس لعلاقة ما بينه وبين السنهدريم، حيث يرى

العالم إيواند أن السنهدريم طلب إطلاق سراحه لأنه ينتمى لعائلة عضو من أعضائه ، ومن جهة أخرى استنكروا أن ينقض أتفاقهم معه منذ الليل من جهة صلب المسيح ، فكيف يعرض عليهم إطلاق سراحه مستخفاً بهم! ! ومن وجهة ثالثة فهو ثائر ضد الرومان حيث يشبع ذلك عندهم كرههم الشديد لهم.

وربما كان بيلاطس قد أحضر باراباس في جهة والمسيح في الجهة الأخرى ليختاروا بينهما، ولكن رؤساء اليهود لم يكتفوا بطلبهم بل حرضوا الجمع أيضاً "ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على ان يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع . فاجاب الوالى وقال لهم : " من من الاثنين تريدون ان أطلق لكم؟" فقالوا : "باراباس!" . قال لهم بيلاطس : "فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح؟" قال له الجميع : "ليصلب!" قال الوالى : " وأى شر عمل؟" فكانوا يزدادون صراخاً قائلين "ليصلب!" فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحرى يحدث شغب ، أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً : "انى برىء من دم هذا البار ! وأبصركم أنتم!" فأجاب جميع الشعب وقالوا : "دمه علينا وعلى أولادنا ". حينئذ أطلق لهم باراباس ، وأما يسوع فجلبه واسلمه ليصلب " (متى ٢٧ : ٢٠ - ٢٦)

وكان بيلاطس مخطئاً فى عرضه لتلك الصفقة لأن اليهود كرهوا يسوع واحبوا باراباس ، كما انه ارتكب اكبر خطأ قانونى حين أطلق سراح المجرم وأمر بصلب البرىء ..ويقول الآباء أن النطق بالحكم كان غريباً ، فبعد أن تأكد بيلاطس من براءة يسوع أصدر حكمه والذى يمكن ان نتصور منطوقه هكذا : " حكمت المحكمة حضورياً ببراءة المتهم ويسلم للموت!".

ولكن كيف يطلبون اطلاق سراح شخص قاوم روما، فى حين يقدمون يسوع للصلب بحجة أنه يقاوم روما؟! إنه شيء من التخبط يقع فيه اليهود ورؤسائهم .. من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه ، ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين : "إن اطلقت هذا فلست محباً لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر !" (يوحنا ١٩ : ١٢).

هذا وقد رسم البعض لوحة تصور باراباس وهو خارج من السجن ، بينما يحيط به كثيرون يهنئونه ، ويصور ملامحه جيداً، فقد كان يتوقع الموت بين آن وآخر ..وقد تخيل قداسة البابا شنودة الثالث وهو أديب وشاعر ، كيف حدث باراباس نفسه وهو خارج الى الحرية ناظراً الى المسيح واقفاً مقيداً فى انتظار الموت، فكتب واحدة من أروع قصائده "من ألحان باراباس":

أنت لم تنصت إلى الحبة بل	♣	أخطأت أمى وأصغت لنداها
أنت لم تقطف من الجنة بل	♣	قطفت أمى حراماً من جناها
أنت قدوس ظهور إنما أنا	♣	من شرد فى الأرض وتاهها
أنت عال فى سماء إنما	♣	أنا ابن الأرض أصلى من ثراها
فلماذا أنت مصلوب هنا؟	♣	وأنا الخاطى حر أتباهى
حكمة يا رب لا أدركها	♣	وحنان قد تسامى وتناهى

الفصل الحادى عشر: إكليل الشوك

استحى المؤرخون الرومانيون واليونانيون ان يسجلوا تفاصيل عملية الصلب ، كما كانت تجرى فى عصر السيد المسيح ، فقد كانت عملية الصلب فى البداية تتم بترك المحكوم عليه مقيداً فى عمود او شجرة دون طعام أو شراب حتى يموت ، بينما تحوم حوله الوحوش والجوارح ، ثم تطورت عملية الصلب قسوة حتى أصبح تنفيذها مأساة بشرية مفعجة..

ففى القانون الرومانى كان يكتفى بعملية الصلب نفسها ، ولكن التنفيذ رافقه الكثير من الاستهزاء والسخرية وحرمان المحكوم عليه من أبسط الحقوق الإنسانية ، فكان يجر إلى مكان تنفيذ الحكم عارياً وسط استهزاء المارة، كما كان القانون يقضى بعدم جلد المحكوم عليه، لأن الجلد فى حد ذاته كان عقوبة قاسية وكان البعض يفقد حياته فيها، وقد جلد السيد المسيح بأمر بيلاطس لعل ذلك يرضى اليهود ولكنهم لم يرضوا!!

وما ان رضح بيلاطس لمشينة اليهود "فأطلق لهم الذى طرح فى السجن لأجل فتنة وقتل، الذى طلبوه ، وأسلم يسوع لمشيئتهم" (لوقا ٢٣ : ٢٥) وما ان تسلم الجند المحكوم عليه بالصلب وأدركوا ان مصيره الموت (بعد محاولات كثيرة من بيلاطس لإطلاق سراحه) حتى رأوا انه لا بأس من أن يتسلوا به، لا سيما وانهم يحملون لليهود كراهية شديدة. وأغلب الظن أن كتيبة الاعدام هنا كانت تتكون من جنود مرتزقة من الوثنيين الذين حول فلسطين يعملون لحساب الرومان..

لقد سخرُوا منه فألبسوه الثوب الارجوانى (ثياب الملوك، وجعلوا قصبة فى يمينه وهو مقيد (صولجان الملك) ، ووضعوا إكليلاً من شوك على رأسه، وكان ذلك يتناسب مع تهتمه وهى أنه ملك اليهود!! (وبذلك فهو ضد القيصر). بل أنهم هزأوا به عندما طلبوا إليه ان يتنبأ بمن ضربه. إذ سمعوا انه نبي أيضاً!! ولم يعلموا وقتها انه ملك الملوك ورب الأرباب والعالم بكل شىء وخالق الكل..

إكليل الشوك:-

كان الأباطرة يضعون على رؤوسهم اكاليل من الغار (يشبه الفل) ، وكان الاكليل متعدد الأشكال ، احياناً مثل أشعة الشمس وأحياناً حلقة بسيطة، كما كان إكليل الغار هو مكافأة الابطال المصارعين والرياضيين والأمراء المنتصرين ،ومن العجيب أن نعرف ان تيجان الملوك المسيحيين لاحقاً كانت تحلى بمسمار!! وذلك امتداد لتقليد بدأت به الملكة هيلانة مع ابنها قسطنطين عندما أرسلت إليه أحد مسامير الصليب ليزين به خوذته وتاجه.. ليس ذلك فقط بل تزينت اكاليل بعضهم بما يشبه الشوك أيضاً، وهكذا جمع الباطرة – الذين سخر أسلافهم من المسيح كملك- جمعوا كل علامات السخرية والعقاب ليضعوها بفخر فى أكاليلهم..

ولقد صار الشوك لعنة بعد سقوط آدم فقد انبتت له الأرض شوكاً ، وقد ورد الشوك فى الكتاب المقدس فى عدة أشكال وأسماء، مثل الشوك والحسك: "وشوكاً وحسكاً تنبت لك" (تكوين ٣ : ١٨) ، والعوسج: "أحسنهم مثل العوسج، واعدلهم من سياج الشوك. يوم مراقبيك عقابك قد جاء . الآن يكون ارتباكهم" (مicha ٧ : ٤) ، "ويطلع فى قصورها الشوك، القريس والعوسج فى حصونها . فتكون مسكناً للذئاب وجاراً لبنات النعام" (إشعياء ٣٤ : ١٣)، والقريس: "عوضاً عن الشوك ينبت سرو، وعوضاً عن القريس يطلع أس" (إشعياء ٥٥ : ١٣) ، والعليق والوعر: "إلى أن يسكب علينا روح من العلاء فتصير البرية بستاناً ، ويحسب البستان وعرأ" (إشعياء ٣٢ : ١٥) . وبخلاف هذه الأنواع ، فقد وردت فى الكتاب المقدس حوالى اثنتان وعشرون كلمة تعبر عن الشوك، أشهرها هذه الخمسة ، ومع ذلك فالفرق بين هذه الأنواع الخمسة ليست كبيرة ، باستثناء القريس وهو نبات ذو وبر شائك، إذا لامس الجسم أحدث به حكة شديدة والتهابات.

وتكثرت الأرض بالشوك بدلاً من المجد الذى وهبها الله إياه ، لقد مجدها كطبيعة جميلة فكل ما عمله هو حسن.. وهكذا صار الشوك شكلاً من أشكال اللعنة التى حملها الله عنا، هكذا تنبأ اشعياء النبي: "عوضاً عن الشوك ينبت سرو، وعوضاً عن القريس يطلع أس. ويكون للرب اسماً، علامة أبدية لا تنقطع" (اشعياء ٥٥ : ١٣).

أما إكليل الشوك الذى ضفره الجند للمسيح ، فقد اخذوه من نبات مورك ذى أشواك ناتئة، وفى فلسطين هناك نوعان من تلك النباتات ،أولها يسمى "زيزفون اللوتس" ، والآخر أطلق عليه لاحقاً "زيزفون شوك يسوع". ويعتقد العلماء ان هذا النوع من الشوك يسمى فى العبرية "سارح" أو "شيراخ" وهو شوك حاد جداً فى أطرافه ، يدمى الجسم إذا انغرس فيه، والأرجح ان إكليل الشوك الذى وضعه الجند على الرأس المقدسة لم يكن مجرد حلقة ، وإنما عبارة عن طاقية ، حيث اثبتت دراسات الكفن ان الرأس كله كان دامياً..

فإذا ما انغرست شوكة واحدة فى قدم إنسان ألمته وارتفعت حرارة جسمه . فكما بالأحرى عندما تحتضن طاقية رهيبة من الشوك رأس إنسان ، ثم يضربه أحد الجنود على رأسه وكأنه يثبتها أو بالأحرى يتأكد من أنها ستدمى الرأس كله "وبصقوا عليه، وأخذوا القصبه وضربوه على رأسه" (متى ٢٧ : ٣٠) وعوضاً عن الجواهر والدرر التى يختارها الملوك ليزينوا بها إكليلهم ، اختار المسيح جواهر إكليله من الدماء وحبات العرق والتى هى أعلى الدرر لأنها "جروح حبة"..

هناك أكثر من قصة رمزية عن نبات الشوك، تروى إحداها كيف تقدم أحد الجنود الى الشوك وصنع منه إكليلاً ،وكيف أن الشوك رأى إنساناً رائعاً هادئاً رزيناً يشع قداسة ،والنور يكلل رأسه ، لقد كان منظر المسيح مؤلماً وهو جالس على الكرسي والجند يسخرون منه صانعين صورة كاريكاتورية لملك بشرى ولكن المسيح حول اللعنة إلى بركة ،والعار الى مجد، والإهانة الى كرامة..

ولقد كان منظره وهو خارج مهاناً وعلى رأسه إكليل الشوك يشبه خروج آدم من الفردوس ،وها هو يفديه فى بستان أيضاً ،وهذا المشهد جعل القديس بولس يشتهى الخروج معه مشتركاً فى الآلام: "فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره" (عبرانيين ١٣ : ١٣) . كما يرى بعض الشراح فى قول بيلاطس البنطى عن المسيح وهو مكلل بالشوك "هوذا الانسان" معنى "هوذا آدم !!!" قد وصل الى هذه الحال، هكذا اخذ آدم الثانى مكان آدم الأول ليعيده الى رتبته "لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيحيا الجميع " (كورنثوس الأولى ١٥ : ٢٢)

هكذا سخروا منه بشدة:-

فقد عروه وألبسوه رداء قرمزياً ليسخروا منه كملك ، مثلما وضعوا قصبه فى يمينه وكأنه صولجان الملك، وسجدوا له كما يفعلون أمام القيصر ، وبصقوا عليه ، وضربوه على رأسه وعروه .. "فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة ، فعروه وألبسوه رداء قرمزياً وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه ،وقصبه فى يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهنئون به قائلين : " السلام يا ملك اليهود!" وبصقوا عليه، وأخذوا القصبه وضربوه على رأسه .وبعد ما استهنأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ،ومضوا به للصلب " (متى ٢٤٧ : ٢٧-٣١)

وهكذا اكتملت صورة الانسان من جهة ما وصل إليه قبل الفداء، منتهى المهانة، كل ذلك حملة المسيح ولم يستح منه، وحوله إلى نصره وإلى مجد، ويمكننا مقارنة مشهد المسيح وهو سائر نحو الصلب وسط سخرية الجنود واليهود والرؤساء الشامتين ،ومنظر المسيح القائم ونحن نحتفل به ليلة عيد القيامة ، حيث موكب النصر الذى أشار اليه القديس بولس متمنياً أن يقودنا معه فى هذا الموكب "ولكن شكراً لله الذى يقودنا فى موكب نصرته فى المسيح كل حين" (كونثوس الثانية ٢ : ١٤) وهو ما تصوره الكنيسة بإبداع فى ليلة عيد القيامة وطول الخمسين المقدسة.

هل علق المسيح مكللاً بالشوك؟

الأرجح ان ذلك لم يحدث ، بل بينما كان المصلوب يعرى تماماً فإن ذلك لم يتم مع يسوع الناصرى ، وذلك لأن القانون والتقليد اليهودى لا يقبلان ذلك، مثلما يمنع أيضاً بقاء الأجساد معلقة بعد غروب الشمس ، هذا

يفسر لنا أيضاً لماذا أعادوا إليه ثيابه بعد الجلد "وضفر العسكر إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه ،والبسوه ثوب أرجوان" (يوحنا ١٩ : ٢) ولكن الأرجح انه عند الصلب ترك القسبة والإكليل والرداء .. (والذى هو عباءة رومانية مهمة).

رحلة إكليل الشوك:-

أول معلومات نقرأها عن إكليل الشوك كانت سنة ٤٠٩ م ، حيث كان ما يزال هناك فى أورشليم ثم نعود لنقرأ مرة أخرى أنه نقل إلى القسطنطينية فى سنة ١٠٦٣ بامر الامبراطور البيزنطى ، وذلك بعد أن كانت بعض أشواكه قد نزعت لتهدى إلى بعض الملوك فى أوروبا. وفى سنة ١٢٣٨م. قام الامبراطور اللاتيني "بالدوين الثانى BaldwinII باهدائه للملك الفرنسى لويس الحادى عشر ليكسب وده، وذلك بسبب اهتزاز امبارطورية الأول ، وقد قام لويس ببناء كنيسة فخمة ليضعه فيها.

وخلال الثورة الفرنسية حفظ الإكليل فى المكتبة الأهلية فى باريس Bibliotheque National de France واستمر هناك حتى سنة ١٨٠٦م حيث تم نقله (وقد قلت أشواكه) إلى كاتدرائية نوتردام فى فرنسا وما يزال هناك حتى اليوم.

"اعطنى يا مخلصى ان اعتبر عذابك كنزى ،
وإكليل شوكك مجدى ، واوجاعك تنهـدى ،
ومراتك حلاوتى ، ودمك حياتى ، ومحبتك فخرى وشكرى.
يا جراح المسيح :اجرحينى بحريـة الحب الإلهى ،
يا موت المسيح :أسكرنى بحب من مات من أجلـى ،
يا دم المسيح :طهرنـى من كل خطيئة .."

(صلاة القسمة)

كان صلب السيد المسيح في عهد طيباروس قيصر ، والذي كان عمره في ذلك الوقت قد ناهز السبعين ، وكان قويا عنيفا وإداريا ناجحا ، كما كان قائدا عاما الجند . كانت الوحدة الأساسية للجيش تدعى فرقة . والفرقة قوامها ٤٥٠٠ رجل (أربعة آلاف وخمسمائة رجل) ، وتنقسم الفرقة إلى كتائب كل منها ١٢٠ (مئة وعشرين جنديا) حتي قيادة ضابط قضي مدة طويلة في الجيش ، أو احد الشباب النبلاء . وفي فلسطين كانت الفرقة الثانية عشرة هي التي تحتل البلاد ، وكانت تتكون من فريقين ، فريق روماني مقيم في قيصرية مكان كرسي والي اليهودية ، والفريق الآخر سوري منتشر علي الحدود ، كما كان هناك جماعة من الجنود يعسكرون في قلعة انطونيا وهي ثكنة عسكرية هامة للرومان ، بينما كانت منغصة اليهود في اورشليم ، هذا وقد ألحقت بالفرقة الثانية عشرة المشار إليها ، فرقة خاصة من راكبي الجمال (الهجانة) ، والمهندسين وفريق طبي ومستشفيات بيطرية إضافة إلي ما يعرف الآن بالبوليس الحربي ... وقد كان هناك عداء يهودي مكبوت تجاه الجنود الرومان بشكل عام ، يبصقون كلما رأوا واحدا منهم ، ومن جهة الجنود كانت الأوامر إليهم تمنعهم الرد علي ذلك ، ومع ذلك فقد أحب اليهود بعضا من قواد المائة الذين أحسنوا إليهم مثل قائد المائة الذي تشفعوا فيه لدي المسيح ورتبوا له موعدا معه ، وزكوا طلبه عند المسيح واصفين إيه انه محب لليهود ، خير معهم : " لأنه يحب امتنا وهو بني لنا المجمع " (لوقا ٧ : ٥)

الفرق بين جند الهيكل وجند الرومان :

احتفظ اليهود بفرقة من الجنود المدربين علي حراسة المقدسات وفض إيه اشتباكات محتملة بين المصلين ، لا سيما في مواسم مثل الصبح والمظال وغيرها ، حيث توجد أعداد غفيرة من جنسيات مختلفة ، وكان لهذه الفرقة قائد يدعى " قائد جند الهيكل " : وهم الذين قادوا جملة القبض علي المسيح في البستان " ثم قال يسوع لرؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه : " كأنه علي لص خرجتم بسيوف وعصي ! " (لوقا ٢٢ : ٥٢) ، ونقرا عنهم مرة أخرى في سفر الأعمال عند القبض علي الرسل حيث كان هناك أيضا سجن تابع للهيكل ، فقد قام بعض اليهود من الصدوقيين وقبضوا هلي الرسل ووضعوهم في سجن العامة ، ولما جاء رئيس الكهنة وأعضاء السنهدريم لمحاكمتهم لم يجدوهم في الحبس إذ كان ملاك الرب قد أخرجهم وأمرهم بدخول الهيكل من جديد للتبشير (أعمال ٥ : ١٧ - ٢٧) . وكان لهم زى خاص بهذه الخدمة يذكرنا بالكشافة وأفراد الأمن المحليين الآن في الكنائس ، غير أن جند الهيكل كان لهم بعض السلطان ، كما كان معرضين للعقاب وأحيانا الفصل والحرمان من الخدمة ، وكان ذلك يتم بطريقة قاسية ، حيث يحاكم الجندي المخطئ أو الذي وجد نائما في نوبة خدمته ، أو الذي تسبب في مشكلة كبيرة ، بان تحرق ثيابه ويعفي من الخدمة ولعلنا نجد في ذلك تفسير لقول الرب : " طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين " (لوقا ١٢ : ٣٧) ، وقول القديس يوحنا الرائي : " طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يكسي عريانا فيروا عريته (رؤيا ١٦ : ١٥) .

ولكن جند الهيكل لم يكن لهم ادني سلطان علي الشعب خارج الهيكل ، وكانت قلعة انطونيا وهي ثكنة عسكرية بجوار الهيكل وتطل عليه ، تراقب ما يحدث في الهيكل وعلي أهبة الاستعداد للتدخل في أي وقت ، مثلما حدث مع الجليليين الذين تظاهروا في الهيكل : " وكان حاضرا في ذلك الوقت قوم " يخبرونه عن الجليليين الذين خلط بيلاتس دمهم بذبائحهم " (لوقا ١٣ : ١) وهم كذلك الذين هبوا لإنقاذ القديس بولس ، حيث صام ارعون يهوديا حتي يقتلوه بخدعة .. فخلصه الأمير من خلال قائد المائة (أعمال ٢٣ : ١٣ - ٢٤) .

الجنود الذين نفذوا عملية الصلب :

كانت كتيبة الإعدام من الجنود العاملين في الجيش الروماني ولكن من المرتزقة الوثنيين المحيطين بفلسطين ، وكان هناك ثلاثة سينفذ فيهم حكم الإعدام ، والأرجح أن اللصين اللذين صلبا مع المسيح كانا من رجال باراباس .

قام الجند بجلد المسيح وهو مربوط إلي عامود قصير ليصبح منحنيا تحت سياط الجلادين الذين اجتمعوا حوله بوحشية ، وكما سبق القول (في مقال إكليل الشوك) كان المحكوم عليه بالصلب لا يتعرض للجلد ، فالجلد في حد ذاته هو عقوبة مستقلة ، بل كان الجلد يسمى بـ " عقوبة نصف الموت " أو " الموت البطيء " ، وهناك فرق بين الجلد اليهودي والجلد الروماني ، فالجلد اليهودي له قانون إذ يجب ألا تزيد الجلادات عن أربعين جلدة ، لأن السوط كان ثلاثي الأفرع فقد كانوا يكتفون بثلاث عشرة جلدة مضروبة في ثلاثة ليصبح العدد تسعة وثلاثين ، وهذا يفسر تعبير القديس بولس " من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة ألا واحدة " : (كورونثوس الثانية ١١ : ٢٤) . أما الجلد الروماني فلم يراع العدد ولا الشفقة ، ومع أن الجلد اليهودي لا يميت وقد تشفى جروحه ألا أن عاره لا ينتهي ولا يمحي . وكان الجلد يتم علي الحقوين والكتفين ، ويردد الجلاد اليهودي أثناء الجلد " الثور يعرف قاتليه والحمار معلف صاحبه ، أما إسرائيل فلا يعرف ، شعبي لا يفهم " ، وهي اقتباس من سفر اشعياء (اشعياء ١ : ٣) ، ويقال أن السياط التي كان اليهود يجلدون بها المجرمين كانت تصنع من أمعاء ثور وحمار !! . أما الجلد الروماني فيقوم به شخص مدرب يهدي " الجلاد " ، وكان السوط ويسمي " الفراجليون " عبارة عن عصا مثبت بها عدة سيور من الجلد تنتهي بقطع من العظام أو الرصاص غير المذهب .

تلي قائد الفرقة التهمة ومضمونها أن يسوع الناصري ادعي انه ملك اليهود ، مما أثار ضحك واستهزاء الجند ، ونلاحظ هنا أن التهمة التي وجهها قيافا إلي المسيح كانت التجديف لأنه قال انه هو المسيح ابن المبارك ، ولكن بيلاطس لم تعنيه هذه الاتهامات مما حدجا بقيافا اللجوء إلي السياسة فتحولت التهم إلي إقامة نفسه ملكا مقاوما بذلك القيصر !!! .

عندما جلد الجند يسوع لم تستمر الجلد لأكثر من ثلاث دقائق ، وكانت العادة تقضي بالتوقف متي كانت حالة الأسير لا تسمح بالاستمرار ، وعندها يأمر القائد بإحضار ماء بارد لغسل الجراح قبل أن يعيدوا إليه الثياب من جديد (ولكن أحدا من البشيرين لم يذكر أن ذلك تم مع المسيح) . وربما يكون الغسل قد أفاقه فأجلسوه علي العمود عاريا ، وهو الوقت الذي وضع فيه الجندي إكليل الشوك علي رأسه قبل أن يضربه بالقصبة عليها ، وعاد الجند ليسخروا من المسيح بثوب أرجواني ثم وضعوا قصبة في يمينه وراحوا يلطمونه ويصقون عليه (متي ٢٧ : ٢٧ - ٣١) " فاخذ عسكر الوالي يسوع إلي دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة ، فعروه والبسوه رداء قرمزيا وضفروا إكليلا من شوط ووضعوه علي رأسه ، وقصبة في يمينه ، وكانوا يجثون قدامه ويستهنون به قائلين : " السلام يا ملك اليهود ! " وبصقوا عليه واخذوا القصبة وضربوه علي رأسه . وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الداء والبسوه ثيابه ومضوا به للصلب .

الصلب :

كانت عملية الصلب تتم في الصفح عادة ، إذ كان الحاكم يأتي من قيصرية إلي أورشليم في هذا الموسم ليشرع في الاحتفالات ، وأثناء فترة الاحتفالات والتي تستمر لأكثر من أسبوع ، كان بيلاطس (الوالي بشكل عام) يجلس للقضاء في قضايا مؤجلة خصيصا له ليفصل فيها ، بعد إصدار الحكم علي المسيح أمر بيلاطس بإحضار سجينين آخرين احضروهما من سجن قلعة انطونيا ، وأما موكب الثلاثة المحكوم عليهم بالصلب تقدم فارس علي جواده ، وأما كل شخص من المحكوم عليهم فيتقدمه ثلاثة أو أربعة جنود يحملون لوحة مدون عليها تهمة (علته) بينما يحيط بقية الجنود الموكب كله بالرماح .

أحضرت الأخشاب من المخزن ، وبينما يقوم القائد بالتنظيم فالبعض يعد الصلبان والآخر يسمر والثالث يرفع الصلبان ، والبعض يحرس الصلبان والبعض يحفظ النظام والبعض الآخر يسلي نفسه . حمل مل من المحكوم عليهم عارضة الصليب والتي يبلغ طولها عادة مائة وثمانين سنتيمترا وسمكها عشرة سنتيمترات ، ويصل وزنها إلي اثني عشر كيلو جراما ، أما يسوع فلم يكن قادرا علي حملها بسبب ألأم الجلد والشوك ، بينما استطاع اللسان حملها (في حالات الصلب الجماعي عند إخماد الثورات أو زيادة عدد المصلوبين فيس المرة الواحدة كانت تستخدم الأشجار أو فروعها في ذلك)

عند التنفيذ أشار القائد إلي الجلد فنوع الجنود ثياب المحكوم عليهم وكومت قدامهم ملابسهم وأخذتهم ، ثم تقدم جندي خلف كل منهم وضربه بركبته بعنف في ظهره فسقط علي ظهره وساقيه مثبتتين تحته ، لكي يتم تسمير اليدين وأحيانا ربطهما أيضا بالحبال ، ومن ثم يرفع ليثبت علي العמוד القائم ليتم بعد ذلك تثبيت القدمين بمسمار في القائم مع رفع الساقين لأعلي قليلا ، وفي بعض الأحيان كان الصليب بالكامل يعد فوق الأرض ومن ثم يرفع والمصلوب مثبت فيه ليسقط بعنف في الحفرة المعدة لذلك ...

أما قائد المائة الذي اشرف علي تنفيذ الحكم :

فهو مثله مثل كل قواد المائة المذكورين في العهد الجديد ، نبلاء ممتازون (مثل القائد الذي طلب من المسيح أن يشفي له غلامه ، وكورنيليوس ، والقائد الذي اكتشف أن بولس روماني ، والقائد الذي عهد فيلкс إليه بولس والقائد الذي رافق بولس في رحلته إلي روما) .

هذا القائد اعترف بالمسيح وأعلن اعترافه في تأثر شديد ، رغم أن المسيح وقتئذ كان في حالة ضعف كمجرد معلق وليس كاله منتصر وسجل هذا الاعتراف قائلا : " حقا كان هذا الإنسان ابن الله ! " (مرقس ١٥ : ٣٩) " ولما رأي قائد المائة الواقف مقابلة انه صرخ هكذا واسلم الروح قال : " حقا كان هذا الإنسان ابن الله ! " .

الغنيمة :

كان المحكوم عليه يقف وأمامه متعلقاته في شبه كومة ، كانت عادة عبارة عن قميص وثوب ومنطقة وحذاء وأحيانا عمامة ، جعل الجند ثيابه أربعة أقسام لكل منهم قسم ، وأما القميص فهو منسوج كله قطعة واحدة ، ومن ثم اقترعوا عليه حتي لا يضطرون إلي شقه فيتلف ، وبذلك تمت النبوة الخاصة بالسيد : " يقسمون ثيابي بينهم ، وعلي لباسي يقترعون " (مزمور ٢٢ : ١٨) (وهو المزمور الذي يتكلم عن الآلام والصليب – راجع مقال : قميص المسيح داخل الكتاب) .

طعن المسيح بالحربة :

في سنكسار اليوم الخامس من هاتور تحتفل الكنيسة بتذكار ظهور رأس " القديس لاونجينوس صاحب الحرية " ويرد عنه أنهى امن بالمسح وكرز في بلاد الكبادوك ويرد في سيرته أن طيباريوس قيصر أرسل فقطع رأسه وأرسلها إلي بيلاطس في اليهودية لكي يريها لليهود ، وقد دفنت الرأس في أورشليم ، وحدث أن امرأة كانت قد أمنت علي يديه أصيبت بالعمى . ثم مرض ولدها فأخذته إلي أورشليم حيث مات هناك ، فبكت كثيرا ولما نامت رأت القديس لاونجينوس في الحلم يقول لها : " اذهبي إلي المكان الذي فيه راسي وارفعيه " ، فذهبت إلي هناك ولما فعلت كما أمرها لمع من المكان نور شديد واشتدت رائحة بخور ، فانفتحت عيناها وعاش ابنها ومن ثم حملت معها الرأس إلي كبادوكية ..

حراسة القبر :

كانت العادة أن يحرس القبر أربعة من الجنود يتغيرون كل ست ساعات ، حيث نجد صدي لذلك في حادثة القبض علي القديس بطرس أنهم حرسوه بأربع أربع من العسكر " ولما امسكه وضعه في السجن ، مسلما إياه إلي أربعة أربع من المعسكر ليحرسوه " (أعمال ١٢ : ٤) ، ولم يكن الحراس يتسلمون المكان المراد حراسته قبل استلام ما يتوجب عليهم حراسته بداخله ، ولذلك فإن الحراس اطمأنوا إلي وجود جسد المخلص داخل القبر ، وعندئذ وضعوا حبلا ثبته بالشمع من طرفه الأول في الصخرة والطرف الآخر في الحجر ، وعلي الشمع في الموضعين ختم بيلاطس البنطي " فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر " (متي ٢٧ : ٦٦)

وفي اليوم الثالث وعندما قام السيد من القبر ، أصيب الحراس بالفزع الشديد (بسبب منظر ملاك الرب) " فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات " (متي ٢٨ : ٤) وجاء بعض منهم إلي المدينة واخبروا رؤساء الكهنة بما حدث ، لعلم الحراس أن الأمر يعني رؤساء الكهنة أكثر من بيلاطس ، إذ اكتفي الأخير بصلب يسوع ، بينما ألح أولئك عليه بضرورة ضبط القبر " فمر بضبط القبر إلي اليوم الثالث ، لنلا يأتي تلاميذه ليلا ويسرقوه ، ويقولوا للشعب : انه قلم من الأموات ، فتكون الضلالة الأخيرة اشر من الأولى ! " (متي ٢٧ : ٦٤) ولما سمع الرؤساء لم يجدوا سبيلا أمامهم سوي التحريض عل الكذب واستعمال الرشوة لكي يشيع الجنود أن تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه والحراس نيام !! " وفيما هما ذاهبتان إذا قوم من الحراس

جاءوا إلى المدينة واخبروا رؤساء كهنة بكل ما كان فاجتمعوا مع الشيوخ ، وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين : " قولوا أن تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه ونحن نيان . وإذا سمع عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين " . فآخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم " . (متي ٢٨ : ١١ - ١٥)

ولكن كيف عرف الحراس أن تلاميذه هم الذين سرقوه إذا كانوا نياما ثم كيف يعترف جندي روماني بأنه كان نائما في نوبة حراسته ! ، وبأي حال يسرقه تلاميذه بينما الأكفان موجودة في الداخل .. أن هذه المحاولة من رؤساء الكهنة لم تكن سوى دليل إضافي على قيامة المسيح من الموت . ولكن لماذا كانت الحراسة ثلاثة أيام ؟ :

لم يمكث السيد المسيح في القبر أكثر من ثلاثة أيام ، كما أنه لم يبق في المقابل أقل من أربع وعشرين ساعة ، وفي الواقع مكث السيد في القبر لحوالي ست وثلاثين ساعة ، والسبب في ذلك أنه إذا مكث أقل من أربع وعشرين ساعة ثم قام فلربما ظن البعض أنه كان في حالة إغماء وأفارق منها ، أما أنه قام في اليوم الثالث فلن يكون في وجود الحراس أنفسهم ليكونوا شهودا للقيامة ، لأن العادة أن يحرسوا لمدة ثلاثة أيام فقط ينصرفوا بعدها مباشرة ، وكان البقاء حتي انتهاء تلك المدة ، ذلك بحسب طلب اليهود أنفسهم (٢٧ : ٦٤) ولكن السيد المسيح سبق فأشار كثيرا إلى أنه يتألم ويقتل .

وفي اليوم الثالث يقوم " من ذلك الوقت ابتداء يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى اورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ، ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم (متي ١٦ : ٢١) راجع أيضا (متي ١٧ : ٢٣ ومرقس ١٠ : ٣٤ ولوقا ٩ : ٢٢) كما كانت إشارات سابقة في العهد القديم مثل بقاء يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال (يونان ١ : ١٧) حيث أشار السيد بنفسه إلى ذلك : " لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال " (متي ١٢ : ٤٠) راجع أيضا (لوقا ١١ : ٣٠) وقد كان أي جزء من اليوم في التقليد اليهودي يحسب يوما كاملا ، واستخدم اصطلاح ثلاثة أيام وثلاث ليال كثيرا بغض النظر عن مجموع الساعات في هذه المدة ، مثلما حدث مع يوسف الصديق الذي فسر حلمي رئيس السقاة ورئيس الخبازين ، حيث قال لكل منهم بعد ثلاثة أيام يرد الواحد إلى رتبته ويتقل الآخر ، ثم يقول الكتاب وبعد ثلاثة أيام تحقق ذلك ، علي الرغم من أن المدة الزمنية بين نبوءة يوسف وتحقيقها لا يصل إلى ٧٢ ساعة (أي ثلاثة أيام كاملة) انظر (تكوين ٤٠ : ١ - ٢٠) .

وهكذا دخل أولئك الجنود التاريخ ولكن من باب الشر وحق فيهم الوصف الذي أعطي لآخرين أمثال هيرودس ويهوذا باراباس وغيرهم " أشرار خالدون " .

الفصل الثالث عشر :خشب الصليب المقدسة

(ونفانس آخري)

احتفظ الرومان دائما في مخازنهم بأدوات الصليب بما فيها الخشب والمسامير والمطرقة وبعض الحبال والأسفنج وسائل المر مع الأوتاد والحراب وغيرها ، وقد نفذوا عمليات الصليب بأكثر من طريقة من جهة التعليق ، فأحيانا كانوا يربطون المحكوم عليه بالحبال فوق صليب كامل مطروح علي الأرض ، ومن ثم يرفعونه ليثبتوه في حفرة في الأرض ويجعلوه عموديا عن طريق الأوتاد حول القائم من أسفل ، وأحيانا كانوا يثبتون المصلوب بالمسامير قبل غرس الصليب في الأرض ، وأحيانا كانوا يسمرون أو يربطون اليدين فقط علي القائمة العرضية ومن ثم يثبتونها فوق قائم راسي جاهز .. وغيرها من الطرق ، أما عن نوع الخشب المستخدم للصليب فهناك ما يفيد في التقليد بأنه كان من خشب السنط نظرا لصلابته ، والبعض يري انه كان من خشب الزيتون المنتشر هناك ..

بعد أيان من إنزال المصلوبين الثلاثة من علي صليبانهم ، وضع رؤساء اليهود الخشبثالث داخل القبر مع المسامير أيضا التي سمر بها المخلص وأمروا بعد قيامه المسيح بقليل بتكديس القمامة فوق القبر لإخفاء معالمه بسبب العجائب الكثيرة التي كانت تجري هناك .

وعندما عثرت عليه الملكة هيلانة بعدما حضرت إلي أورشليم بعد فقدانها لابنها كريسبس ، وقد قاربت الثمانين من عمرها ، وبعد سؤال كثير وتعب شديد ومعاناة مع اليهود اعترف احد شيوخهم ، ويدعي الحاخام يهوذا بوجود المكان مشيرا إليه حيث كان يعلوه تل من القمامة ، وقد استطاعت تمييز صليب السيد من الصليبان الاخري بان وضعته علي ميت فقام في الحال ويقول المؤرخ روفينوس أن الميت الذي قام كان سيدة تدعي " لباتيا " .

وكانت شعلات النار توقد من قمة جبل إلي آخري حتي يصل الخبر السار إلي الملك هناك في روما بأنه قد ظهر الخشبة المقدسة ، فقد كان الاتفاق أن المكان الذي يعثر فيه علي الصليب يوقد شعلة فوق قمة الجبل حتي يطمئن الآخرون الذين يبحثون عنه ، فما أن وجدوه حتي أضاءت المدينة كلها بشعلات من نار ، وكان ذلك اليوم هو الرابع عشر من شهر سبتمبر (يوازي في التقويم الشرقي السابع والعشرون من سبتمبر) وهناك شيدت " كنيسة القيامة " فوق القبر ووضع فيها صليب السيد ، بل وأرسلت إلي البابا اثنا سيوس الرسولي في مصر تطلب إليه الحضور لتدشين الكنيسة ففرح وجاء وقام بتدشينها في سنة ٣٢٨ م . ويرد في التقليد أن رهبانا من بلاد عديدة ما بين مصر وسوريا وبلاد ما بين النهرين قد حضروا التدشين كما حضروه حوالي خمسون أسقفا ، وعرفت باسم / " كنيسة القيامة " ، ويسمونها سكان القدس بـ " كنيسة القبر المقدس " ، وقد أقيم احتفال تدشينها علي يومين متتاليين ، وبسبب استخدام النار في الإعلان عن اكتشاف الخشبة المقدسة ، أصبح وجود النار وربما الألعاب النارية في الاحتفالات التي كانت تجري بهذه المناسبة في الأعوام التالية تقليدا متبعا..

وقد ذكر القديس يوسيتنوس حجم الصليب كما ذكر انه يتكون من قائم ارتفاعه أربعة أمتار وثمانين سنتيمترا ، وعارضة يتراوح طولها بين (٢.٣ م - ٢.٦ م) وقد فحص خشب الصليب الحقيقي فأثبتت الأبحاث انه صنع من خشب الأشجار القلونية ، ويقال أن ما يوجد حاليا من خشبة الصليب يعادل ١٨ مليون ملليمتر مكعب فقط (موقع التاريخ)

توزيع أجزاء من الخشبة المقدسة :

أشار مار اغناطيوس يعقوب الثالث (بطريك السريان الارثوذكس الأسبق) إلي أن الملكة هيلانة قد تركت جزءا من الصليب في أورشليم بينما أرسلت الباقي إلي القسطنطينية ، أما الملك قسطنطين فقد أمر بتوزيع أجزاء من خشبة الصليب علي كافة كنائس العالم ، وقد حصلت روما بطبيعة الحال علي قطعة كبيرة منه ، بينما وضع الجزء المتبقي من كنيسة القسطنطينية ويذكر كذلك القديس كيرلس الأورشليمي أن أساقفة أورشليم كانوا يوزعون منه قطعا علي كبار الزائرين كبركة حتي انتشرت أجزاءه في العالم كله خلال وقت قصير ، ولكن تقليدا يقول أن خشبة الصليب كانت تنمو من تلقاء ذاتها مهما اخذ منها ، وذلك بسبب البركة التي نالتها من صلب الرب عليها .

استيلاء الفرس علي خشبة الصليب :

وذلك في أيام " كسري الثاني " ملك الفرس (٥٩٠ - ٦٢٨ م) حين استولي علي أورشليم سنة ٦١٤ م ، فهدم الكنيسة ومن ثم نقل الخشبة المقدسة معه إلي فارس في مايو ٦١٤ م ، ويقول الفرس أنفسهم أن رجال الملك دفنوا الصليب في حفرة في بستان قصر الملك ، وحتى يبقى المكان سرا لا يعرفه احد فقد قتلوا الشماسين اللذين أمرهما الملك بحمل الصليب لأي البستان ، ولكن أراد الله المصلوب عنا " أن تعين فتاة صغيرة ابنة كاهن ما حدث وكانت قد سبيت وأقامها الملك في قصه .

إعادة الخشبة المقدسة :

كانت الإمبراطورية الرومانية قد أصابها بعض الضعف ، غير أنها استعادت وقتها ومكانتها في عهد الإمبراطور هرقل (٦١٠ - ٦٤١ م) ومن ثم قام باسترداد ما سبق م=الفرس واستولوا عليه ، ومن بينها خشبة الصليب ، حيث أشارت الفتاة المذكورة إلي مكان دفنه ، حيث ظل مدفونا أربع عشرة سنة ، وبذلك فقد أعيدت الخشبة في سنة ٦٢٩ م باحتفال مهيب .

ورغب الإمبراطور هرقل أن يعيد ذلك الأثر النفيس بنفسه إلي كنيسة القيامة فاستقبلته المدينة كلها بالمصاييح والتراتيل ، فلبس حلته الملوكية والوشاح الإمبراطوري والتاج الذهبي ، وسار حاملا الصليب علي كتفه غير انه ثقل عليه عند الباب فلم يستطع الدخول به ، وهنا أشار عليه بعض لكهنة بالتخلي عن الوشاح والتاج مثلما تخلي عنهما سيده عند الصليب فأطاع ودخل خافيا مرتديا ثيابا بسيطة ، ومن ثم وجد الصليب سهلا خفيفا (وهكذا الصليب خفيف بالفعل وسهل لكل من يحمله باتضاع) وحسب ذلك اليوم عيدا إضافيا للصليب ، وكان ذلك في عهد الأنبا زكريا أسقف أورشليم ..

ويروي المؤرخون انه بعد وفاة هرقل واحتلال العرب لمسلمين أورشليم تعرضت كنيسة القيامة للحريق الجزئي ، فقرر المسيحيون - تجزئة خشبة الصليب حتي لا تفقد إذا ما تعرضت لحادث مماثل مرة أخرى ، وتكون في عدة أماكن بدلا من مكان واحد ، فقسموه إلي تسعة عشرة قطعة صنعوا صلبانا ، وكان للإسكندرية نصيب في قطعة واحدة ولم يذكر هل أخذها الأقباط أم الملكانيون ويعتقد أنها ذهت للأقباط (نقلا عن موقع تاريخ الكنيسة) .

نقله إلي القسطنطينية :

نقلت الخشبة المقدسة بعد ذلك في سنة ٦٧٠ م إلي كاتدرائية " أحيا صوفيا " والتي تحولت فيما بعد إلي مجد في عهد الملك محمد الثاني (١٤٢٩ - ١٤٨١ م) ، وعند نقل الصليب كانت الإمبراطورية كلها في انتظار وصوله إليها بشغف شديد .

قطعة من الخشبة يستولي عليها المسلمون :

في سنة ٥٩٠ هجرية بعث الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي بهدايا إلي الخليفة العباسي الناصر ، وكانت من هذه الهدايا قطعة من صليب الصلبوت أعطاه للخليفة المسلم حتي يسمح له بان يكون ملكا بعد أبيه ، طبقا لما ذكره ابن كثير^١ المؤرخ لمسلم في كتابه " البداية والنهاية " عن هذه الهدايا قال : " من ذلك سلاح أبيه وحصانه الذي كان يحضر عليه الغزوات ، ومنه الصليب الصلبوت الذي استلبه أبوه من الفرنج يوم حطين ، وفيه من الذهب ما ينيف عشرين رطلا مرصعا بالجواهر النفيسة واربه جوارى من بنات الفرنج " .

حرب الأيقونات واختفاء بعض أجزاء من خشبة الصليب :

استمرت حرب الأيقونات قرنا كاملا من الزمان ، وذلك في القرن الثامن الميلادي في أيام الملك فيليب بارادان (٧١١ - ٧١٣ م) والذي أمر بإزالة الرسوم من كنيسة اجيا صوفيا . وفي أثناء ذلك اختفت خشبة الصليب .

^١ - الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤ الجزء ١٣ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م - الناشر مكتبة المعارف بيروت

- دار ابن حزم بيروت ص ٨ .

وفي سنة ١٤٠٠ م اكتشفت قطعتان ضمن قطع الصليب وذلك في احدي الكنائس في منطقة فرنسا الآن ، حيث أخذت منها قطعة أهديت إلي قداسة البابا شنودة الثالث في المقر البابوي ، كما أهديت قطعة مماثلة " لايبارشية دمياط وكفر الشيخ والبراري " وذلك بيد الأنبا مرقس القبطي مطران فرنسا المنتيخ . ويروي المنتيخ الأنبا مرقس القبطي بفرنسا قصة هذه القطعة الثمينة فيقول :
نقل هذه القطعة الكابتن البحار " ملخيو ترينزان " إلي فينيسيا ، حيث كانت هناك كوديعة لدي عائلة نبيلة سلمتها له في ٢٩ / ٤ / ١٥١٣ م وبقيت في حوزة البطريرك " أنطوان فينيسيا ، ثم ألت إلي الكاردينال " جاك موينكو " بطريرك فينيسيا في ١٨٣٨/٦/٣ م ، ثم إلي البطريرك " جان بيتر " في فينيسيا أيضا ، إلي أن وجدت في ١٩١٢/٤/٢٠ م في حوزة البطريرك بيرونوتوتي جيراس والذي أعطاها بدوره للبطريرك الاسباني " جوزيف جارسيا لا جريرا " أسقف فالنس في اسبانيا .
يقول الأنبا مرقس ونظرا للروابط التي تجمع بيننا فقد أهداني إياها في ١٧/١٠/١٩٧٠ ومن ثم أهديتها بوري إلي ايبارشية دمياط ..

أثار أخري نفيسة تتعلق بصلب السيد المسيح :

استطاع القياصرة المسيحيون ، ومعهم بعض من الاراخنة المسيحيين المحبين ، جمع كل ما يتعلق بصلب المخلص من أدوات وتعتبر اعلي كنوز العالم حيث تقدست بملامسة الرب لها ، وقد تم اقتناء هذه الكنوز أما عن طريق العلاقات الشخصية أو الشراء بالمال أو التبادل مع أشياء أخري أو باستخدام السلطة الزمنية وغيرها من الطرق ولك يتم كل ذلك في وقت واحد وإنما علي مدار خمس سنوات طويلة ومع تغير الظروف السياسية مثل الحصول علي درجات سلم بيلاطس البنطي ، لم يتم الحصول عليها إلا بعد عشرات السنين وهكذا ، وقد توزعت هذه الكنوز علي أماكن كثيرة جدا من العالم للبركة أولا ، ثم لضمان عدم فقدانها متي تركت في مكان واحد ، ونورد هنا بعضا من هذه النفائس مع تتبع رحلتها عبر أماكن كثيرة من العالم .
اللافتة التي فوق الصليب :

أرسلت الملكة هيلانة إلي القسطنطينية جزءا كبيرا من الخشبة المقدسة مع إكليل الشوك والمسامير والحربة كما أرسلت معها أيضا " اللافتة " التي كانت فوق صليب المخلص وبعد حوالي قرن الزمان قام الإمبراطور فالنتينوس الثالث ابن قسطنس قيصر بتزيين المكان الذي وضعت فيه ، وهو كنيسة الصليب المقدس . بالموزاييك ووضع اللافتة في المكان العلوي من الكنيسة وبمرور الزمن نسي الناس مكانها ولم يلحظه احد ، وفي سنة ١٤٩٢ م ، أراد احد الكرادلة ترميم الكنيسة فاكشف العمال هذا الكنز النفيس الذي يعتبر من الذخائر المقدسة الهامة فعن الفرع الشعب المسيحي في العالم كله ، وتوافدت الجموع لرؤيته لمدة ثلاث أيام وقد عثر علي الصندوق وبداخله اللافتة .

أما الصندوق فهو عبارة عن قالب من الطوب محفور فيه بحروف قديمة ارتفاعها ٥٠ مم Titilis Crucis أي " عنوان الصليب " باللغة للاتينية ثم اللافتة نفسه " عنوان الصليب " وقد عثر علي جزء منها في زمن لاحق في روما وبه ثلاثة سطور :

السطر الأول : به الجزء الأسفل من الحروف العبرية ولم يتمكن من قراءتها

السطر الثاني : Nazareots (أي الناصري)

السطر الثالث : Nazarinesere (أي الناصري)

وفي سنة ١١٠٠ م ، ورد كتاب إلي الكونت " روبير " حاكم إقليم " فلاندر " بفرنسا بأنه توجد آثار عظيمة كثيرة محفوظة في القسطنطينية .

وفيما يلي حصر للآثار التي تحدث عنها :

العمود الذي ربط عليه المسيح كلمه الله .

السوط الذي جلد به .

الثوب القرمزي الذي البسوه إياه .

إكليل الشوك في كنيسة Notre – Dame de Paris ²

² - راجع الموقع التالي : <http://notredamedeparis.fr/Veneration-dela-Couronne-de-epines>

القصة التي أعطوها له كصولجان .

الملابس التي تعري منها .

المساير التي استعملت في صلبه .

جزء كبير من صليبه .

اللفائف التي وجدت في قبره .

وفي سنة ١٢٢٨ م افترض إمبراطور القسطنطينية بودان الثاني من البندقية مبلغا كبيرا من المال ، ولمك يستطع أن يوفي الدين الذي عليه ، فتوجه لأي ملك فرنسا للاستعانة به فدفع قيمة القرض ألا انه اخذ الآثار السابقة (المرهونة) وأصبحت ملكا له بعد أن كانت هذه الآثار رهينة عند مقرضيه .

وبعد بضع سنوات أخرى شيد لويس ملك فرنسا كنيسة مكان كنيسة القصر القديمة بعد أن تسلم قطعة كبيرة من خشب الصليب الحقيقي وكان قد بدا في ناء الكنيسة سنة ٢٤١ م وانتهي سنة ١٢٤٨ م وفي نفس الوقت تم في بيزا Pisa تكريس مقصورة لجزء من إكليل الشوك .

وتعد كنيسة القديسة العذراء في مدينة بيزا احدي عجائب الفن المعماري مثلها مثل كنيسة باريس ، ففي هاتين الكنيستين كانوا يحتفظون بجزء من إكليل الشوك بالصندوق الموجود بكاتدرائية " نوتردام دي باري " الذي اغني به ملك فرنسا لويس كنيسة فرنسا ومكتوب علي الصندوق الآتي :

الواجهة الأولى من الصندوق :

الإكليل المقدس لربنا يسوع المسيح ، الذي فاز به بودان عند الاستيلاء علي القسطنطينية في سنة ١٢٠٤ م ، والذي ارتهن لدي البندقيين في سنة ١٢٢٨ م وتسلمه بخشوع عظيم الملك لويس في مدينة فيلنوف Villeneuve بالقرب من " سانس " في يوم ١٠ - أغسطس ١٢٣٩ م .

وعلي الواجهة الثانية من الصندوق :

تم نقلها من كنيسة " لا سانت شابيل " La sainte-chapelle إلي دير " سان دنيس " Saint-Danis بفرنسا بأمر الملك لويس السادس عشر في سنة ١٧٩١ م ، وأعيدت إلي باريس سنة ١٧٩٣ م ، ورفع عنها غطاؤها في بيت صك النقود وحملت إلي المكتبة الأهلية في سنة ١٧٩٤ م ، وأخيرا أعيدت إلي كنيسة " نوتردام دي باري " بأمر الحكومة في ٢٦ من أكتوبر سنة ١٨٠٤ م .

وعلي الواجهة الثالثة من الصندوق :

تم التعرف عليها في ٥ أكتوبر سنة ١٨٠٥ م بمعرفة ب . دينزيه ، وس.ن.وران فلوت P.Dieneze et Ch. N. Warin-Flot. Constanees الذين كلفا بان يأخذا في سنة ١٧٩١م جزءا منها إلي بورويال وتم نقلها علنا إلي كنيسة نوتردام بواسطة الكاردينال ج.دي.بلوا J.B.De Delloy رئيس أساقفة باريس في ١٠ أغسطس سنة ١٨٠٦ م . وهي موضوعة داخل حلقة من البلور مبطنة بالبرونز المذهب وهبوط حرير حمراء ، ويتكون الإكليل نفسه من فروع الخيزران رفيعة ومتجمعة في حزم قطر الحلقة الداخلي ٢١١٠ مم وقطر قطاع الإكليل ١٥ مم والفروع متجمعة بواسطة ١٥ و ١٦ رباطا متشابهاة ويصل سلك من الذهب بين الأربطة لكي يقوي هذه الآثار المقدسة .

وعلي القارئ لان يتخيل هذا النبات ذا الأشواك ينغرس في رأس مخلصنا الصالح يسوع المسيح فيتخضب بدمائه فأصبح نبات العوسج رمزا للمجد الإلهي وملكية المسيح التي سجل بعضها بدمائه علي هذا النبات الذي يوجد فروع صغيرة منه ، وأشواك منفردة أو متصلة محفوظة في ١٠٣ مدينة مختلفة أهمها الموجودة في بيزا وتريف وبروج Pisa. Treves and Bruges وقد ثبت بأقوال المؤرخين أن القديسة هيلانة هي التي أرسلتها هناك .

المسامير المقدسة :

لا يوجد ادني شك في أن المسامير كانت كبيرة جدا بحيث أنها تركت فراغا ملحوظا في جسد المسيح له المجد . والدليل علي ذلك أن مخلصنا الصالح يسوع دعا توما الرسول الشكاك لان يضع إصبعه في المكان الذي أحدثته المسامير في يديه وجنبه . وحينما أرادوا إنزال جسده من علي الصليب اضطروا لنزع المسامير أولا من خشبة الصليب لان المسامير كانت رؤوسها كبيرة جدا ولا يمكن أن تعبر من خلال جسده .

واليوم ما زال احد المسامير الحقيقية التي استعملها الرومان في الصלב محفوظ في كنيسة الصليب في روما وهو ليس مدببا وحادا ، لأنه قد برد ووضعت هذه البرادة في سبيكة من المسامير الاخرى تم صنعها بنفس الطريقة التي صنعت بها مسامير الصלב الأصلية وبهذه الطريقة تم إكثار عدد هذه المسامير ، ويحتفظ شارل بزوريه الكاهن بعدد من المسامير المصنوعة من المسار المحفوظ في ميلانو و " بروريه " يهوي جمع الآثار وقد أعطي واحدا منها للملك فيليب الثاني كأثر ثمين .

أما المسامير الحقيقية التي وجدتھا الملكة هيلانة فقد قيل أنها كانت تبحر في البحر الادرياتيكي فألقت بأحدي المسامير في البحر عندما هبت رياح عاصفة وأوشكت السفينة علي الغرق فهذا البحر في الحال ويقال أن الملك قسطنطين الكبير كان يضع احد المسامير في التاج لثمين الذي كان يلبسه في المناسبات لحمايته وتمثل باريس قطعتين من أجزاء هذه المسامير إحداهما كانت من ضمن كنوز دير " سان دنيس " والاخرى في دير " سان جرمان دي بريه " .

وعندما تسلم رئيس أساقفة باريس المونسيور " دي كيلان " المسمار الأول لاحظ قطعة من الخشب متصلة به وعند فحص هذا الخشب اتضح انه من نفس طبيعة القطعة الكبيرة من خشب الصليب الحقيقي الموجودة في كاتدرائية نوتردام دي باري ، ويؤكد المؤرخون وجحود جزء من المسمار الحقيقي داخل الطوق الحديدي في مدينة " مونزا " وكذلك مسمار بمدينة " تريف " اكتشفتھا الملكة هيلانة مع الصليب المقدس وأرسلتها إلي الملك قسطنطين الذي فرح بها وثبت أحدهم في الخوذة الملكية :

والثلاث المسامير موزعة كالآتي :

مسمار في كنيسة الصليب بروما .

مسمار في إير سان دنيس .

المسمار الثالث في دير سان جيرمان بفرنسا .

ملابس المسيح :

تم العثور عليها مع درجات سلم قصر بيلاطي الذي صعد عليه المسيح ، والقصة التي أعطيت للمسيح علي صولجان والاسفنجة المقدسة والحربة والعامود الذي ربط عليه لجلده وعصابة الرأس (التي للعين في بيت قيافا) وحجر التحنيط الذي استخدمه يوسف الرامي في تحنيط جسد الرب يسوع المسيح موجود في كنيسة القيامة .

درجات سلم قصر بيلاطس :

في سنة ٣٢٦ م نقلت القديسة هيلانة الملكة درجات سلم قصر بيلاطس إلي روما ، ووضعتها في كنيسة (سان جان دي لاتران)

وفي سنة ٨٥٠ م اتبعت عادة الصعود علي هذا السلم ركوعا ، ولم يكون مسموحا بالصعود علي هذه

الدرجات ألا في حالة ركوع علي الركب ، حتي تأكلت الدرجات من كثرة الاستعمال مما استلزم تغطيتها ببطانة من خشب الجوز وقد فتحت البطانة من الأمام بحيث يمكن رؤية الأثر .

ويتكون السلم من ٢٨ درجة من الرخام الأبيض ، فيها عروق يميل لونها لأي الرمادي في الاتجاه الطولي ، وطول كل درجة من الثمانية درجات الأولى ٣.٥ مترا بينما يبلغ طول كل من الدرجات الباقية ٢.٥ مترا ، (مجلة الكرازة عدد ١٥ أغسطس ١٩٧٥ م – المؤرخ الأستاذ يوسف حبيب) .

الحجر الذي دحرج من علي باب القبر :

الزائر لكنيسة القيامة يري أن القبر المقدس مستطيل الشكل له باب صغير من جهة الشرق تعلوه مجموعة من القناديل والأيقونات الخاصة بالقيامة ويرى قطعة من الحجر الذي وضع علي باب القبر وهذا الحجر مغلف بالرخام عدا سطحه العلوي ، قد ترك مكشوفاً حتي عام ١٩٤٤ م ، وفي وقت لاحق غطي بالزجاج والكنيسة القبطية الأرثوذكسية لها قنديل كبير من الفضة تهتم بإنارته يوميا إلي اليمين واليسار .

ومن هنا ندرك أن الأشياء العادية تتقدس بمن يستعملونها أو يحملونها فكم بالاحري عندما يكسو جسد المسيح ثوب أو ينغرس في جسده مسمار أو يطوق رأسه المقدس إكليل من الشوك أو يسمر الجسد كله فيلتصق بخشبة الصليب لثلاث ساعات كاملة ويتخضب بالدم المقدس .. كم تستحق منها من إكرام وكم هي ثمينة ...

الفصل الرابع عشر : قميص السيد المسيح
فقال بعضهم لبعض : " لا تشقه ، بل نقترع عليه لمن يكون " (يوحنا ١٩ : ٢٣ ، ٢٤)

كانت متعلقات المحكوم عليه بالصلب ، تقع عدة من نصيب الجنود المكلفين بتنفيذ حكم الإعدام (كتيبة الإعدام) في المقابل كان المحكوم عليه يجرد من ملابسه تماما حيث يقاد عريانا إلي مكان الصلب ولكن ذلك لم ينفذ مع المسيح لأنه يهودي والتقليد اليهودي يرفض مثل هذا الأجراء ويقضي بستر عورة المحكوم عليه بالموت .

وتتكون ثياب الرجل اليهودي في العادة من خمس قطع هي : (القميص – الرداء – العمامة – المنطقة – الحذاء) وكان الرداء يسمى في العبرية " طاليث " (أو : لابوس) بينما يسمى القميص " الكتونيت " ويصنع غالبا من الكتان .

فإذا فتشنا في أعماق الجنود منفذي الحكم ، علمنا أن مثل تلك المهام كانت كريمة بالنسبة لهم ، يضاف إليهم كرههم كوثنيين لليهود قاطبة وفوق هذا وذاك فإن المحكوم عليه هنا هو شخص يهودي قام اليهود بتسليمه بأنفسهم لحكم الموت .

وربما ظن الجنود أيضا أن حالة الإعدام هذه مثلها مثل جميع الحالات التي يضطرون معها إلي الحراسة يومين أو ثلاثة حتي يلفظ المصلوب أنفاسه الأخيرة ، فقد كانت عقوبة الصلب سواء عند الفرس الذين ابتكروها منذ زمن بعيد أو الحكومات التي أخذتها عنهم مثل الرومان تقضي ببقاء الجسد معلقا نهبا للطيور والجوارح نهارا ووحوش الأرض ليلا .. ومن هنا فإن رصفة في العهد القديم أقامت كوخا مقابل الصلبان السبعة التي علق عليها سبعة رجال من نسل شاول وكان ابنها من بينهم ، وذلك لتدفع عنهم الوحوش والجوارح ، وقد راقبت بالأم نفيسة يصعب وصفها ، المصلوبين وهم يلفظون أنفاسهم أولا ، ثم وهم يتحللون جسديا فوق صلبانهم ، وذلك منذ شهر ابريل وحتى موسم نزول المطر (ليس قبل شهر سبتمبر) !! هكذا يرد في الكتاب المقدس : " وسلمهم إلي يد الجبعونيين فصلبوههم علي الجبل أمام الرب فسقط السبعة معا وقتلوا في أيام الحصاد ، في أولها في ابتداء حصاد الشعير ، فأخذت رصفة ابنة أية مسح وفرشته لنفسها علي الصخر من ابتداء حصاد الشعير ، فأخذت رصفة ابنة أية مسح وفرشته لنفسها علي الصخر من ابتداء الحصاد حتي انصب الماء عليهم من السماء ، ولم تجع طيور السماء تنزل عليهم نهارا ولا حيوانات الحقل ليلا فاخبر دود بما فعلت رصفة ابنة أية سرية شاول " (صموئيل الثاني ٢١ : ٩ – ١١)^٣ .

ومن هنا راح الجنود يسلون أنفسهم لقتل وقت الفراغ ، فأنهم ولكثرة ما قاموا بتنفيذ عمليات الصلب لم يعودوا يأبهون كثيرا لألام المصلوب الرهيبة والتي لا تماثلها أو تقاربها سوي ألأم " القتل علي الخازوق " وهي طريقة في الغالب من ابتكار الفرس أيضا ، ثم انتقلت إلي شعوب أخرى مثل العرب ولمدة طويلة يقول القديس يوحنا : " ثم أن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام ، لكل عسكري قسما ، واخذوا القميص أيضا . وكان القميص بغير خياطة . منسوجا كله من فوق ، فقال بعضهم لبعض : " لا نشقه بل نقترع عليه لمن يكون " ليتم الكتاب القائل : اقسموا ثيابي بينهم وعلي لباسي القوا قرعة " . هذا فعله العسكر (يوحنا ١٩ : ٢٣ ، ٢٤)

كانت قطع الثياب (أو الممتلكات) خمسا ، بينما كان عدد الجنود أربعة ويمكننا أن نفهم من تعبير اقسموا ثيابه بينهم احد أمرين أما القطع الأربعة التي ذكرناها وأما تقسيم الرداء من خلال الخياطة ، في حين أن القميص ذاته لن ينفع معه التقسيم وإلا فإنه سيتمزق ويتلف . من هنا أصبح القميص موضوع نزاع " ساذج " بين الجنود المتطفلين (والذين يغلب الظن أنهم ليسوا من الرومان جنسا بل من المجندين الوثنيين في لمنطقة لحساب روما) . ولذلك فقد القوا قرعة لمعرفة من يفوز به ، لقد كان سلوكا مؤسفا أمام شخص بينازع الموت أمامهم ، وعلي مقربة منهم أيضا نساء يبكين ويولولن وكذلك تلميذ مكسور خاطر هو يوحنا

^٣ - راجع مقالنا عن الجلجثة في هذا الكتاب .

الحبيب . لقد رأي ارميا النبي ذلك بعين النبوة فقال : " أما إليكم يا جميع عابري الطريق ؟ تطلعوا وانظروا أن كان حزن مثل حزني " (مراثي ١ : ١٢) .
التقليد الخاص بهذا القميص

يؤكد التقليد أن هذا القميص نسجته مريم لابنها مرة واحدة من الكتان النقي ، وذلك في بداية خدمته ، وقد كانت هذه عادة النساء في اليهودية مع أولادهن عندما يبدأون حياتهم العملية ، وهناك تقليد آخر يفيد بأنها صنعت له وهو حديث السن غير أن القميص لم يبيل مثلما حدث مع بني إسرائيل في البرية " ثيابك لم تبيل عليك ، ورجلك لم تتورم هذه الأربعين سنة " (تثنية ٨ : ٤) .

ونحن نتساءل كيف كانت مشاعرهم وهم يفعلون ذلك حتي بالقميص ولم يكتفوا بما صنعوه بجسده ونفسه ! أن ذلك كان يمثل بعض أسباب ألأم المسيح النفسية وهو علي الصليب ، فهم يقامرون (بالقرعة) وهو يموت لأجل وهم لا يدرون ، رسم احد الرسامين القدامى لوحة تمثل السيد المسيح مرفوعا علي الصليب ، ولا يلتفت إليه احد وكان الأمر لا يعني احد ! ، " قد دست المعصرة وحدي ، ومن الشعوب لم يكن معي احد " (اشعيا ٦٣ : ٣) .

قميص رئيس الكهنة :

يؤكد يوسفوس المؤرخ اليهودي الشهير بان مواصفات قميص رئيس كهنة وهو قصير ومنسوج كله من الكتان النقي ، هي نفس مواصفات القميص الذي كان يرتديه يسوع الناصري ، والفرق بين رؤساء الكهنة ويسوع الناصري انه هو رئيس الكهنة الحقيقي ، والذي أقيم كل رئيس كهنة في القديم علي مثاله ، هكذا يشرح القديس بولس في رسالته إلي العبرانيين " وأما رأس الكلام فهو : أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السماوات خادما للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان لان كل رئيس كهنة يقام لكي يقدم قربانين وذبائح ، فمن ثم يلزم أن يكون لهذا أيضا شئ يقدمه . (عبرانيين ٨ : ١ - ٣) انظر أيضا (عبرانيين ٥ : ١ - ١٠) ، وقد قام السيد المسيح كرئيس كهنة بهذا العمل وقدم ذبيحة نفسه مرة واحدة ، وإذا كانت كلمة " كاهن " في اللاتينية تعني " قنطرة " فقد صار المسيح الواسطة بين الله والناس .

ويقول بعض الشراح أن القميص يذكرنا بالقميص الذي صنعه الله لأدم ، ثم سلمه لموسي لأجل الخدمة ، يذكرنا كذلك بالقميص الملون الخاص بيوسف والذي نزع عنه إخوته ولطخ بالدم وبجواره اقترعوا علي يوسف ! ..

أما أباء الكنيسة فقد رأوا في قميص يسوع :

التجسد الإلهي من العذراء مريم وذلك من جهة النقاوة ، وكما أعطته العذراء القميص أيضا والذي يرمز إلي الناسوت ، وهو لم يتمزق في إشارة إلي دوام بتوليبتها .

كما رأي القديس ايرينيئوس والعلامة اوريجانوس والقديس اغسطينوس ومار افرام السرياني ، وغيرهم من الآباء ، صورة الكنيسة غير القسمة فيقول القديس كبريانوس انه منسوج من فوق لتحت مثل الكنيسة المقررة والمعانة من فوق أي من الله ولا يمكن لإنسان أن يمزقها وفي ذلك تمت نبوة داود النبي يقسمون ثيابي بينهم وجلي لباسي يقترعون " (مزمور ٢٢ : ١٨) .

أين يوجد قميص يسوع الآن ؟

يفيد التقليد الغربي بان القميص موجود الآن في مدينة " ترير " الألمانية ، حسبما يقول الكاثوليك بأنه كان مخبئا ولكنه بدا عرضه منذ سنة ١٥١٣م وأخر مرة شوهد كان سنة ١٩٩٦م ، حيث تمتع برؤيته أكثر من مليون زائر .. أما التقليد الشرقي فيفيد - بحسب كنيسة جورجيا - بان شخصا يهوديا من جورجيا قد اشتراه من القدس وقت صلب المسيح واحضره إلي هناك حيث يوجد الآن في كاتدرائية " سيفي تيت شوفيليه " في موسكو ويحتفلون به في العاشر من شهر يوليو من كل عام .
هكذا تألم المسيح ليشفيانا وتعري ليسكونا بثوب بره ...

" وفيما هم خارجون وجدوا أنسانا قيروانيا اسمه سمعان فسخروه ليحمل

صليبه "

(متي ٢٧ : ٣٢)

هو الشخص الذي نال شرف حمل الصليب قليلا عن المسيح ، وكان ذلك في الغالب بدءا من بوابة المدينة وحتى الجلجثة حيث صلب الرب " وفيما هم خارجون وجدوا أنسانا قيروانيا اسمه سمعان ، فسخروه ليحمل صليبه " (متي ٢٧ : ٣٢)

واضح من اسمه انه ليس من سكان اليهودية ولكنه من القيروان (تونس الآن) ومن المؤكد انه يعرف القديس مرقس ، حيث تدور عدة أسئلة عل هاجر معه هو وعائلته ؟ أم جاء كحاج (سائح) وسكن في كوخ في الحقل بسبب الزحام مثله مثل الكثيرين في هذا الموسم شديد الزحام حيث يصل عدد الحجاج أحيانا لأي ثلاثة ملايين . أم مجرد ساكن في أورشليم؟

يذكره القديس مرقس بتفاصيل - علي غير عادته - فيعرفه علي انه أبو لاسكندر وروفس " فسخروا رجلا مجتازا كان أتيا من الحقل ، وهو سمعان القيرواني أبو الكسندرس وروفس ، ليحمل صليبه " (مرقس ١٥ : ٢١) ، فإذا كان من سكان أورشليم وقتئذ فيكون ذلك قبل مجئ السبت وسخروه فعلا ولم يحمله طواعية ولم يمت هدف الجند الشفقة علي يسوع ، بل التعجيل بتنفيذ المهمة ولكن لماذا سخروه ؟ هل لان شكله اسود .. أم هل وشي به البعض بأنه يتعاطف مع يسوع ؟ ! أم ما أن رأوه حتي واتتهم الفكرة بتسخيره ؟ قانون السخرة :

عندما قال السيد المسيح في الموعظة علي الجبل " من سخرك ميلا واحدا فاذهب مع اثنين " (متي ٥ : ٤١) كان يشير إلي قانون السخرة بشكل عام ، والي تسخير الرومان لليهود وهم واقعين تحت الاحتلال ، حيث كان من حق الجنود تسخير أي يهودي لحمل شئ أو القيام بمهمة ما ، وعندما قال السيد ذلك قصد ألا نتذمر بل لنعمل ذلك بفرح وقد علق الآباء كثيرا علي ذلك ، فمنهم من قال أن المسيح قصد أن البديل الأول ربما يؤكد عبوديتنا السياسية بينما الميل الثاني الذي سنسیره طواعية يؤكد حريتنا الداخلية لان العبودية الحقيقية هي الداخلية ، " أن حرركم الابن فبالحقيقة تصيرون أحرارا " . وقد وصف العهد الجديد بأنه " إنجيل الميل الثاني " .

ولكن ما الذي كان يحمله المسيح لحظتئذ وقد اعني ؟ . هل العارضة الخشبية فقط أم الصليب بكامله أن العادة الجارية في ذلك الوقت كانت أن يحمل المحكوم عليه العارضة فقط كجزء من العقوبة حيث تربط في يديه المبطوتين عليها بالحبال بينما يبقى القائم في مكان التنفيذ . هناك قصة تقول أن سمعان القيرواني عاد مجهدا ، وسأله ولداه عن سبب إعيائه ، وانزعجا عندما علما انه حمل صليبا ، ولكنه اخبرهم بأنه صليب يسوع الناصري ، وكان يمكنه الإفلات من ذلك بطريقة ما ولكن منظر المسيح استدر شفقتة ، في الليل جاءه يسوع في حلم في بهاء يفوق بهاء الشمس وطوبة بأنه بار وان الصليب الذي حمله سيتحول إلي مجد خالد ، فقام تغمره سعادة لم يعرف لها مثيل . هذا وقد أشاع البعض انه صلب مكان المسيح وذلك حسبما أورد " تاتيان " مثلما ادعي البعض الآخر أن يهوذا الاسخريوطي صلب بدلا من السيد !! . الأخبار اللاحقة عنه :

ذكر القديس مرقس لسمعان مع ولديه يعكس ثقته بمعرفة قرائه بهم ، كما يدل علي أن عائلة سمعان أصبحت معروفة في الوسط المسيحي الكرازي ، كان الأكبر هو لاسكندر والأصغر هو روفس ، وعندما كتب القديس بولس رسالته إلي رومية كان الكبير قد توفي إذ بعث معلمنا بولس بالتحية إلي روفس " سلموا علي روفس المختار في الر وعلني أمه أمي " (رومية ١٦ : ١٣) ، فقد تحول سمعان الثيرواني في انطاكية إلي واحد من خمسة قادة في الكنيسة " وكان في انطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون : برنابا ، وسمعان الذي يدعي نيجر ، ولوكيوس القيرواني ، ومناين الذي تربى مع هيرودس رئيس الربع ، وشاول " (أعمال الرسل ١٣ : ١) .

والذي يعنينا أكثر في هذه القصة أن هذا أعظم عمل قام به سمعان في حياته ومثله في ذلك مثل أي إنسان يحتمل التسخير من أجل المسيح ولكن بفرح ودون تدمير مثل التعيير " طوباكم إذا أبعضكم الناس ، وإذا أفرزوكم وعيروكم ، وأخرجوا اسمكم كشريير من أجل ابن الإنسان " (لوقا ٦ : ٢٢) ، وكذلك خدمة الآخرين بمن فيهم الذين يبدون مبتزين أو مستغلين ، واحتمال الإهانة والتعيير من أجل المسيح ولكن بشرطين الأول أن يكون من أجل المسيح وثانيا أن يكون كذبا " طوبي لكن إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة ، من أجل كاذبين " (متي ٥ : ١١) واللاهات المتعددة علي مختلف الصعدة ، فالبعض مضطهد فقط لأنه مسيحي بينما يحتمل هو ذلك بفرح حاسبا عار المسيح أفضل من جميع الكنوز . وكما تحول التسخير إلي بركة في حياة سمعان ، هكذا يتحول الضيق إلي بركة متي قبلناه ، بل لقد أصبح الألم من أجل المسيح هبة في حد ذاته " لأنه قد وهب لكم لأجل الكسح لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضا أن تتألموا لأجله " : (فيلبي ١ : ٢٩) بل علينا أن نعبر عار المسيح هو عارنا نحن لحمله عنا لقد حمل القيرواني قبسا يسيرا مما كان يجب علي الإنسان تحمله نتيجة العصيان ، وفي المقابل هناك الملايين من البشر علي مر العصور تمنوا أن يكونوا مكان سمعان يلمسون الصليب فقط ، لقد تمنى العديد من الملوك عبر التاريخ أن تتحلي تيجانهم بجزء من مسامير الصليب واحتفظت أعظم الكاتدرائيات في اغلي مقصوراتها بقطع صغيرة من خشب الصليب .

الفصل السادس عشر :الجلجثة

فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له " موضع الجمجمة " ويقال له بالعبرانية " جلجثة " (يوحنا ١٩ : ١٧)

وهو الموضع الذي صلب فيه رب المجد مع اثنين من اللصوص . هما في الغالب رفيقي باراباس ، وقد سمي الموضع : " جمجمة " ويقال أن سبب هذه التسمية أن كثيرا من جماجم الذي صلبوا هناك مدفونة في الموضع ، وفي أيام العلامة جيروم ساد الاعتقاد بأن هذا الموضع هو الذي كانت تنفذ فيه أحكام الإعدام ، وقد وصف بأنه : موضع خارج المدينة تقطع فيه رؤوس المحكوم عليهم " ، كما رأي البعض انه كان مكانا مخصصا للرجم ، وإن فيه مغارة ارميا النبي ، وربما جاءت تسمية بسبب أن كثيرين من اليهود كان موتاهم هناك ، لا سيما وإن الاكتشافات الحديثة أظهرت الكثير من القبور هناك ، كذلك يشبه تل الجلجثة في شكله العام منظر الجمجمة ، ومن الطريف أن أعمال التنقيب هناك قد أحدثت فتحتين كبيرتين في الموضع تشبهان تجويف العينين في الجمجمة ..

هكذا دعي الموضع :

جمجمة	في العربية
جلجثة (وتعني رأس)	في العبرية
اقرانيون	في اليونانية
كالفاري	في اللاتينية
جل جوعة - " تل حجارة في جوعة " (ارميا ٣١ : ٣٩)	في الآرامية

ومنذ القرن الرابع بدا ينشأ تقليد " جبل الجلجثة " عندما أقيمت علي الموضع " كنيسة القبر المقدس " . ومن الطريف أن تقليدا قبل المسيحية يفيد بأن جمجمة ادم وجدت هناك أو دفنت هناك ، فيقول العلامة اورجانيوس أن التقليد في أيامه يفيد بوجود جمجمة ادم وقبره في كهف في تلك المنطقة ، وعن هذا التقليد نقل القديس اثناسيوس والقديس ابيفانيوس والقديس باسيليوس الكبير والقديس يوحنا ذهبي الفن وغيرهم ... أما " العالم ايوالد " فقد وصفه بأنه " تل الغريب " المذكور في (ارميا ٣١ : ٣٩) كما سبق القول " جل جوعة " .

موقع الجلجثة :

ليست هناك إشارة في العهد الجديد إلى مكان الجلجثة ، سوى إشارة عابرة إلى أن الموضع كان قريبا من أورشليم ، مما أتاح لكثيرين رؤية اللافتة المعلقة فوق الرب المصلوب " فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود ، لأن المكان الذي صلب فيه يسوع كان قريبا من المدينة ، وكان مكتوبا بالعبرانية واليونانية واللاتينية " (يوحنا ١٩ : ٢٠) ولكن التقليد يفيد بأن مكان الجلجثة هو ذلك التل الدائري المعشب البارز ، فوق ما يسمى بـ " كهف ارميا " ولذي يقع شمال شرق بوابة دمشق الحديثة (يسمى الآن باب دمشق أو باب استفانوس) بجوار سور المدينة الغربي ، علي مسافة ٢٠٠ ياردة من سور اغريباس . وحتى سنة ٤٣ م ، ظل الموقع خارج السور الثاني لأورشليم ، وبعد ثورة " باركوكبا " سنة ١٣٧ م ، طرد كل اليهود وكذلك المسيحيون الذين من أصل يهودي من هناك ، في حين كلن يتردد علي المكان المسيحيون الساكنون خارج فلسطين ، وبالتالي فلم يكن من السهل فقدان المكان ، ومع أن الإمبراطور هادريان قام بدفن الموضع تحت المكان الذي عرف لاحقا بـ " ايلياء كابتولينا " كما قام الوثنيون بتجنيس المكان من خلال إقامة معبد لافروديت حسبما أورد المؤرخ يوسابيوس القيصري " ألا انه لم يختف ، ولكنه وبعد اكتشاف الصليب المقدس بواسطة الملكة هيلانة ، انتقل مركز المدينة إلى القبر المقدس بعد أن كان ذلك المركز هو الآكام والسفوح الجنوبية التي كانت مكتظة بالسكان .

أما السبب الذي جعل العلامة اوريجانوس يصرح بوجود جمجمة ادم هناك فهو ما ورد في رسالة القديس بولس الأولى إلى كورنثوس " لأنه كما في ادم يموت الجميع ، هكذا في لمسيح سيحيا الجميع " (كورنثوس الأولى ١٥ : ٢٢) ، كما يشير إلى تقليد في أيامه بأن ثلاث نقاط من دم المسيح وقعت علي جمجمة ادم المدفونة تحت الصليب فقام من الموت ويربط بين ذلك وبين ما ورد في رسالة القديس بولس إلى افسس " استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضئ لك المسيح " (افسس ٥ : ١٤) ، ولكنه مجرد

تفسير ضمن تفسيرات اوريجانوس الرمزية ، فهذه الآية هي اقتباس للقديس وبولس من ترنيمة كنت تقال للمعمدين الجدد احتفالاً بهم .

الجلجثة وذبح اسحق :

في سفر التكوين يرد أن إبراهيم رأى الموضع الذي سيقدم اسحق فيه " وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد (تكوين ٢٢ : ٤) ولم يكن يعلم أين سيقدم ذبيحته ، هكذا السيد المسيح مثل مصارع قوي لا يختار الخصم ولا المكان ، بل حدد الساعة بنفسه وترك نفسه للآلام والموت ثم انتصر عليهم . وتفيد التقاليد أن جبل الموريا الذي وصل إليه أبونا إبراهيم ليقدم اسحق ذبيحته عليه الموضع الذي يوجد فيه الهيكل ، وأن مذبح المحرقة في الهيكل هو بعينه المكان الذي بني منه إبراهيم مذبحاً ليقدم عليه اسحق ، وهو المكان الذي كان يخص أرنان اليبوسي " وبسط الملاك يده علي أورشليم ليهلكها ، فندم الرب عن الشر وقال للملاك المهلك الشعب : " كفي ! الآن رد يدك " وكان ملاك الرب عند بيدر ارونه اليبوسي ... فجاء جاد في ذلك اليوم إلي داود وقال له : " اصعد وأقم للرب مذبحاً في بيدر ارونه اليبوسي " . فصعد داود حسب كلام جاد كما أمر الرب (صموئيل الثاني ٢٤ : ١٦-٢٥). وفي المكان ذاته بني الهيكل وشرع سليمان في بناء بيت الرب في أورشليم ، في جبل المريا حيث ترأى لداود أبيه ، حيث هيا داود مكاناً في بيدر أرنان اليبوسي " (أخبار الأيام الثاني ٣ : ١). كما أوردنا أن الجلجثة التي صلب عليها الرب تقع بالقرب من الهيكل . وفي تلك المنطقة تهلل أبونا إبراهيم وفرح بأنه رأي يوم الرب " أبوكم إبراهيم تهلل بان يري يومي فرأى وفرح " (يوحنا ٨ : ٥٦) وكما حمل اسحق حطب المحرقة حمل السيد المسيح صليبه ، وكما افتدي الكبش اسحق هكذا افتدي المسيح - وهو الحمل الحقيقي - البشرية جمعاء ، وكما عاد اسحق حياً هكذا قام المسيح من الأموات ، لذلك فإن اسحق من أكثر الشخصيات رمزا إلي السيد المسيح ، لا سيما في طاعته ، فهو الابن الوحيد الحبيب والمسيح هو ابن الأب الحبيب والوحيد " مونوجينيس " (راجع قسمة خميس العهد)

الجلجثة ورصفة :

عندما كلب الجبعونيين مطلبهم الرهيب وهو صلب سبعة من نسل شاول مقابل إساءته لهم إبان حياته ، كان اثنان منهم لرصفة بنت أية بن صبعون من أبناء سعيير الحوري " وكانت لشاول سرية اسمها رصفة بنت إيه " (صموئيل الثاني ٣ : ٧) وهي سرية شاول ولم تمن إذن عبرية بل أممية أخذت رصفة مسحا من الشعر وجلست عليه فوق جبل جبعة حيث الجثث معلقة وبنت لها كوخاً من الخوص لتراقب الجثث ليلاً نهاراً وتزجر عنها الوحوش والجوارح ، واستمرت هناك من شهر ابريل بداية الحصاد حتي أكتوبر عندما نزل المطر أي حوالي ستة أشهر ، وذبح رفغ غضب الرب عن الأرض ، (صموئيل الثاني ٢١ : ٩) . هذا ويرى الكثير من الشراح وجهاً للتشابه بين رصفة وهي تقف أمام سبع شجرات معلقة عليها الأجساد السبعة ، والقديسة مريم وهي تقف أمام شجرة الصليب ، في ذلك الجبل أمام الرب نجد ظل الجلجثة ، حيث سبعة إبرار قتلوا (صلبوا) تكفيراً عن ذنوب لم يقتترفوها وتحملوا لعنة قسم تم الحنث به (من قبل شاول) ، لأنه " ملعون كل من علق علي خشبة " ، هكذا أوفي المسيح المصلوب الدين وقدم كفارة عن العالم كله . كما نرى بعض أوجه التشابه ما بين رصفة ومريم المجدلية . فإن رصفة لم تستطع أن تنسي ابني محبتها أو تتركهما ، هكذا المجدلية ترقب القبر حيث وضعوا الجسد ، وإذ لم تكن مدركة لحتمية قيامته التي سبق فأنبأهم عنها ، لذا جاءت لتحنط الجسد " وبعدها قام باكراً في أول الأسبوع ظهر أولاً لمريم المجدلية . التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين ، فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون " ، (مرقس ١٦ : ٩ ، ١٠) ، ورصفة أيضاً في مراقبتها وحبها تعبر عن إحساس سري دفين علي رجاء القيامة .

لحن الجلجثة :

وهو لحن الدفن ويقال أثناء طقس الدفنة الذي يقام في نهاية يوم الجمعة الكبيرة في الساعة الثانية عشرة ، وهو لحن رثائي جنازي يروي قصة موت المسيح ودفنه ، حيث تقدم يوسف الرامي إلي بيلاطس البنطي ليصرح به باستلام جسد المسيح لدفنه ، وقد تم له ما أراد باعتباره احد إشراف اليهود ، لا سيما وقد تعجب بيلاطس من انه مات هكذا سريعاً وحمل تعجبه نوعاً من التأسف من جراء القصة بكاملها ، وكانت عادة الرومان ترك الأجساد معلقة تنهشها الجوارح كجزء من العقاب . وحالما حصل يوسف علي التصريح

اصطحب معه نيقوديموس والذي ارتبط اسمه بتعبير " الذي أتى ليلا إلي يسوع " : " وجاء أيضا نيقوديموس . الذي أتى أولا إلي يسوع ليلا وهو حامل مزيج مر وعود نحو مائة منا " (يوحنا ١٩ : ٣٩) ، واحضر الاطياب وقاما بعملية الدفن ويرد عن فيلو السكندري أن هذا اللحن من بين الألحان التي ورثها الأقباط عن الفراعنة ، ويقال بلحن رثائي عذب ..

نص اللحن :

الجلجثة بالعبرانية، الإقراانيون باليونانية ،
الموضع الذي صلبوك فيه يا رب ،
بسطت يديك وصلبوا معك لصين ، عن يمينك وعن يسارك ،
وأنت كائن في وسطهما ، أيها المخلص الصالح ،
المجد للأب والابن والروح القدس ،
فصرخ اللص اليمين قائلا: اذكرني يا ربي ،
اذكرني يا مخلصي ، اذكرني يا ملكي ،
متى جئت في ملكوتك ،
أجابه الرب بصوت وديع: " إنك اليوم تكون معي في ملكوتي "
الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين .
أتي الصديقان يوسف ونيقوديموس وأخذا جسد المسيح ،
وجعلا عليه طيباً وكفناه ووضعاه في قبر وسبّحاه قائلين:
قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت ،
يا من صلب عنا ارحمنا .

المجد للأب والابن والروح القدس ،
الآن وكل أوان ، والي دهر الدهور . آمين .
ونحن أيضا نسجد له ، صارخين قائلين :
" ارحمنا يا اله مخلصنا ، يا من صلب علي الصليب ،
اسحق الشيطان تحت أقدامنا ، خلصنا وارحمنا ..

ويلاحظ أن الإشارة هنا علي أنها " الجلجثة بالعبرانية والاقراانيون باليونانية " وهي تأكيد بان الحدث قد تم بالفعل من خلال تحديد المكان بدقة " الموضع الذي صلبوك قسه يا رب " وعندما يقول " بسطت يديك " فهذا يعني كيفية الصلب من جهة الطريقة حيث هناك طرق متعددة لتنفيذ الحكم ، كما أن العبارة تعني انه صلب بإرادته ، مثلما نقول في لحن " فأى ايتاف انف " هذا الذي اصعد ذاته ذبيحة مقبولة علي الصليب عن خلاص جنسنا " وعندما يقول " صلبوا معك لصين عن يمينك وعن يسارك " فانه يعني انه " أحصي مع آثمة " (أش ٥٣ : ٩) " لامي أقول لكم : انه ينبغي أن يتم في أيضا هذا المكتوب : وأحصي مع آثمة : " (لوقا ٢٢ : ٣٧) ، كذلك عندما يعثر لاحقا علي الصلبان الثلاثة فيعرف أن صليب المسيح بينهم (لأنه صلب مع اثنين) وهذا ما حدث مع الملكة هيلانة حين تعرفت علي صليب المسيح ، ويكمل اللحن : " وأنت قائم في وسطهما " القيام هنا يذكرنا بان المسيح قائم مذبح وان قائم يقدم ذبيحة نفسه فهو رئيس الكهنة الحقيقي ، وقد رآه يوحنا الرائي الحمل القائم كأنه مذبح " وفي وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبح له سبعة قرون وسبع أعين ، هي سبعة أرواح الله المرسله إلي كل الأرض " (رؤيا ٥ : ٦) . وأما تعبير " أيها المخلص الصالح " فهو إلي جوار معناه الرائع العام فهو يشير هنا إلي مقارنة بينه وبين باراباس وتأكيده ببيلاطس : " وأي شر صنع " !

بعد ذلك يأتي تمجيد الأب والابن والروح القدس ، فهو وان كان مصلوبا وفي مظهر لضعف ، ألا انه الإله الذي يجب له التمجيد دائما .. أما صراخ اللص واعترافه فهو تخليد لهذا اللص الذي بكلمة واحدة استحق الفردوس وما يزال يعمل حتي في شدة آلامه ، ثم يروي اللحن قصة تكفين الجسد من قبل الرجلين اللذين استحقا التكريم والتخليد في واحد من أروع الحان الكنيسة ، ثم يختم اللحن بتوسل من الشعب إلي المسيح المصلوب بان يسحق الشيطان تحت أرجلنا .

الفصل السابع عشر : يوسف الرامي

مشير شريف ينتظر ملكوت السموات

من الشخصيات الهادئة الوقورة ، متوازن قوي الشخصية محبوب وله كلمة مسموعة ، لسنا نعرف متى تبع المسيح وصار له تلميذا ، انه نموذج جيد للتلميذ المخلص الصادق ، وان كان فيه بقية من الإنسان العتيق ، فقد كان مثل نيقوديموس يخشي رؤساء اليهود ورد فعلهم متى عرفوا انه تلميذ للمسيح .

يقول القديس مرقس أن يوسف الرامي هو " تلميذ ليسوع " وهو أيضا " منتظر " ملكوت السموات " لعل أعظم صفتين وصف بهما يوسف الرامي هما انه " تلميذ للمسيح " و " منتظر ملكوت الله " وكان تعبير " منتظر ملكوت الله " يطلق علي الذين يتبعون المسيح ، واستمر هذا الوصف يطلق علي الأقباط حيث يوصف القبطي بأنه " خين نيفاوي " باللهجة الصعيدية " أو " خين نيفينوي " باللهجة البحرية وهو تعبير قبطي معناه : " فيما للسماء " أي انه يفكر فيما للسماء .

ولد يوسف في " الرامة " أو " الرمتايم " وهي البلدة التي ولد فيها صموئيل النبي (١ صم ١ : ١) ومعناها " مرتفع الحراس " وتبعد عدة أميال شمال أورشليم ، ولكن من الواضح انه لم يكن يسكن فيها وربما كان موقعها الآن " رام الله " .

يصفه القديس متى بأنه رجل غني : " جاء رجل غني من الرامة اسمه يوسف وكان هو أيضا تلميذا ليسوع " (متي ٢٧ : ٥٧) ويصفه القديس مرقس بأنه " مشير " شريف وكان هو أيضا منتظرا ملكوت الله (مرقس ١٥ : ٤٣) أما القديس لوقا فيقول عنه انه كان " مشيرا ورجلا صالحا بارا (لوقا ٢٣ : ٥٠) بينما يصفه القديس يوحنا بأنه " تلميذ يسوع (يوحنا ١٩ : ٣٨) .

وظيفته الدينية :

واضح انه كان عضوا في السنهدريم ، وعندما انعقد المجمع لمحاكمة المسيح (قبل القبض عليه) رفض أن يوافقهم علي رأيهم ، وأبي التستر علي جريمتهم . وربما من خلال عمله في السنهدريم استطاع الرسل أن يعرفوا ما دار بالضبط داخل جلسات المجلس ، وكيف كانوا يفكرون ، وفي وثيقة قديمة وجدت في مخطوطة بدير البرموس ترد الحوارات التي دارت بين بعض من أفراد السنهدريم ، وكذلك توقيع الأعضاء علي الحكم علي المسيح (راجع كتب " اثر قديم نفيس " إصدار دير البرموس) .

لاشك انه لم يجاهز بمحبته للمسيح بسبب خوفه منهم ، وربما خوفا علي مركزه أو حياته (كما سبق واشرنا) ورغم أن هذا السلوك له ما يبرره لا سيما إذا كان الذي سيصل إلي أسرته ، فان التاريخ ملئ بالنماذج التي جاهرت بإيمانها ولم تخش النتائج ، إذ يكفيها أنها تبعت المخلص ووجهت نظرها نحو الملكوت ، وفي الآلام التي واجهتها هذه الشخصيات نظروا إليها باعتبارها شيئا يسيرا مما صنعه الله لأجلهم ، هذا جعل القديس بولس يشتهي أن يتألم كما تألم المسيح " الذي الآن افرح في آلامي لأجلكم ، وأكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده ، الذي هو الكنيسة " (كولوسي ١ : ٢٤) .

ولم يكن هذا مسلك يوسف الرامي وحده ولكن الكثير من اليهود الذين امنوا بالمسيح جازوا هذا الاختبار ، ولعل أشهرهم هو نيقوديموس الذي أتى إلي يسوع ليلا ، حتي ارتبط اسمه بهذا السلوك (يوحنا ٣ : ٢) راجع أيضا (يوحنا ٧ : ٥٠) لذلك خاف أبو المولود اعمي من اليهود فبم يشهدوا للمسيح ، ويعلل ذلك القديس يوحنا قائلا عن أبوي المولود اعمي : " قال أبواه هذا لأنهما كانا يخافا من اليهود ، لان اليهود ماتوا قد تعاهدوا انه أن اعترف احد بأنه المسيح يخرج من المجمع " (يوحنا ٩ : ٢٢) وعندما حدث انشقاق بين الشعب وتشكك أن كان المسيح أم لا ، كان الذين اقتنعوا به يخشون المجاهرة " وكان في الجموع مناجاة كثيرة من نحوه ، بعضهم يقولون : " انه صالح " . وآخرون يقولون : " لا ، بل يضل لشعب " . ولكن لم يكن احد يتكلم عنه جهازا لسبب الخوف من اليهود (يوحنا ٧ : ١٢ ، ١٣) ليس الجموع فقط الر والتلاميذ أنفسهم هربوا عند الصليب واختبأوا في العلية حتي ظهر له الرب نفسه في العلية وقال : " سلام لكم " (يوحنا ٢٠ : ٢١ ، ٢٦) ولعل لقديس يوحنا في إنجيله كان كثير الإشارة لهذا السلوك ، فهو يقدم المسيح من جهة لاهوته من جهة وفي المقابل كيف تشكك البعض وخاف مع كل ترفق الرب بالجميع : بطرس عندما أنكر ، وكذلك تجاه ضعف يوسف ونيقوديموس والتلاميذ ، حتي تقوي إيمانه وصاروا كارزين بل وماتوا لأجله ..

هنا يبكتنا كثيرا ذلك الإنسان البسيط الذي لم يكن معلما ولا تلميذا ليسوع ، انه بارتيماس الاعمي منذ ولادته ، حيث انه شفي ففرح ، ثم عرف أن شافيه هو الله فامن ، وعندما سأله جاهر ، ولما استنكروا ذلك بكت قساوة قلوبهم وتحول إلي كارز شجاع (يوحنا ٩) ولم يكن الذين امنوا سرا بالمسيح من عامة الشعب فقط بل ومن الرؤساء أيضا مثل كرنيليوس وغيرهم .

ولم يستطع يوسف أن يكرم المسيح في حياته ، ولكن إحداث الآلام والصلب الدامية حركت مشاعره وأثارت أشجانه وأمدته بالشجاعة ليمضي ويطلب جسد يسوع ليدفنه بنفسه ، فان كان في حياته لم يبد عطفًا تجاه سيده ، فانه في مماته سيبيدي إخلاصه له كشهيد مؤامرة دنيئة ، هكذا تخلص من الخوف والتستر ، والحدز وذهب إلي بيلاطس .

خطورة طلب الجسد :

بينما كان القانون اليهودي يقضي بالا تظل الأجساد معلقة علي الصليبان بعد غروب الشمس بالتى أن تبين معلقة هكذا ، لان المعلقة ملعون وهكذا لا تبقي اللعنة علي الأرض " ملعون كل من علق علي خشبة " (غلاطية ٣ : ١٣) باستثناء ما حدث مع السبعة الذين علقوا علي صليبان من ابريل وحتى أكتوبر لكي ترفع اللعنة عن الأرض (٢ صم ٢١) .

ولكن الرومان اعتادوا ترك المصلوب معلقا متروكا بذلك لوحوش الليل وجوارح النهار والتي كانت تجتذبها رائحة الدم فتاتي وتنهش الجسد وحتى صاحبه وما يزال حيا ينزع الموت ، وقد اعتبر الصالبون ذلك جزء من لعقوبة ، بل كان الحرس كثيرا ما يتسلون بمثل تلك المناظر ! (كانت العقوبة في البداية ، كما استنبطها الفرس ، تقضي بترك المحكوم عليه مقيدا إلي عامود أو شجرة يقاسي ألام الجوع والعطش ليومين أو ثلاثة حتي الموت ، وكان الحراس يترفقون به فيقتلونهم إذا ما رأوا المصلوبين الثلاثة للتعجيل بموتهم ودفنهم قبل غروب الشمس من جهة ، وقبل الدخول في السبت الكبير من جهة أخرى حيث الحرص اكبر " ثم إذ كان استعداد ، فلكي لا تبقي الأجساد علي الصليب في السبت ، لان يوم ذلك السبت كان عظيما ، سال اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا ، فأتي العسكر وكسروا ساقي الأول والآخر المصلوب معه . " (يوحنا ١٩ : ٣١ ، ٣٢) وقد وافق بيلاطس علي طلبهم ضمن سلسلة من الطلبات التي أثارت استيائه ، لقد كانوا - بحسب تعبير احد الكتاب - " مثل الذئاب الزنان " ! ، وأوصلوه إلي ما يشبه الطفل العنيد الثائر ... فأنهم وحتى بعد دفن المسيح الحوا في الحراسة لنلا يشاع انه قام ، لقد ظل رعبهم من المسيح كبيرا حتي وهو داخل القبر ..

أما يسوع فلما أكمل كل شئ قائلا : " قد أكمل " لفظ أنفاسه الأخيرة وصرخ بصوت عظيم واسلم الروح ، وهكذا لم ينتظر حتي تكسر ساقاه ، وعندما طلب يوسف الجسد من بيلاطس تعجب الأخير ثم أرسل لقائد المائة ليتأكد منه وعند ذلك وافق : " فتعجب بيلاطس انه مات كذا سريعا ، فدعا قائد المائة وسأله : " هل له زمان قد مات ؟ " (مرقس ١٥ : ٤٤) .

ولكن كيف يتجاسر كما يقول القديس مرقس ويدخل إلي بيلاطس ليطلب الجسد ، وهو ليس قريبا للمصلوب " فتجاسر ودخل إلي بيلاطس وطلب جسد يسوع " (مرقس ١٥ : ٤٣) وأين أقرباؤه ، أن المريميتين وهما الوحيدتين اللتان استمرتتا لآخر المطاف ، كانتا تنظران الموضع من بعيد (متي ٢٧ : ٦١ و مرقس ١٥ : ٤٧) . كما أن التشفع في مصلوب اكر من شأنه أن يثير الشبهات ويعرض لمتاعب ، فلقد تعرض البعض للإعدام لمجرد طلب جسد المصلوب ! ولكن يوسف رجل سنهدر يمي وله شهرته .

لقد عاني بيلاطس نفسيا بسبب اضطرابه لصلب المسيح ، واشمئز من اليهود ورؤسائهم ، واستاء كثيرا من إلحاحهم وتهديداتهم له وتهيج الشعب ، وأراد بصلب المسيح أن تنتهي هذه المأساة ، وقد تساءل البعض أن كان بيلاطس قد استخلص لنفسه رشوة من يوسف وهو رجل غني ، مثلما كان بيلاطس قد استخلص لنفسه رشوة من يوسف وهو رجل غني ، مثلما أراد فيليكس الوالي أن يفعل مع بولس الرسول (أعمال ٢٤ : ٢٦) ولكن هذا الأمر مستبعد ، بل الأرجح أن بيلاطس شعر بالراحة لانتهاء عذاب المسيح ، وربما مسح بان يوهب يوسف الجسد عله يقدم أي لمسة رحمة لذلك الرجل الذي رآه بارا لا يستحق الموت .
التكفين والدفن :

مع أن بائعي الأكفان والحنوط كانوا يعفون من التوقف عن العمل في السبت إلا أن نيقوديموس استطاع شراء الحنوط قبل السبت (يوحنا ١٩ : ٣٩) " جاء يوسف الذي من الرامة ، مشير شريف ، وكان و أيضا منتظر ملكوت الله ، فتجاسر ودخل إلي بيلاطس وطلب جسد يسوع " (مرقس ١٥ : ٤٣) وهكذا قسم العمل بينهما ، فبينما ذهب يوسف للحصول علي إذن بأخذ الجسد المقدس ، مضى نيقوديموس لشراء الحنوط وكانت عبارة عن مئة منا (رطل) من المر والعود وهي المواد المستخدمة في التحنيط " وجاء أيضا نيقوديموس ، الذي أتى أولا لي يسوع ليلا ، وهو حامل مزيج مر وعود نحو مئة منا : (يوحنا ١٩ : ٣٩) وأما الكتان فكان كتانا نقيا بمعنى انه غالي الثمن " فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقي " (متي ٢٧ : ٥٩) .

أما تعبير إنهما كفناه " حسب عادة اليهود " يقول القديس يوحنا : " فأخذنا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الاطياب ، كما لليهود عادة أن يكفنوا " (يوحنا ١٩ : ٤٠) ، فهذا يعني أنهم كفنوه بحسب العادة المتبعة وهي لف القدم من بداية الأصابع حتي نهاية الفخذ بأشرطة من الكتان وتحتة طبقة من الحنوط ثم لف القدم الاخرى بنفس الطريقة ، بعد ذلك تكرر نفس الشئ مع الذراعين ومن ثم تضم القدمين وتلفان معا من جديد فإذا ما وصلا إلي الحقوين ضموا اليدين إلي جوار الجذع ليلفا مع الجسد كله فيصبح شكله العام مثل السمكة ، فإذا وصلوا إلي الرأس وضعوا بعضا من الحنوط فوق كل من العينين ثم لفوا الوجه كله بما يشبه المنديل ليربطوه من الخلف ، ولكن دراسات الكفن في تورينو أفادت بأنه من واقع الدراسات لم يتم ذلك مع المسيح بل لف الجسد سريعا بقماش من الكتان .

ويروي التقليد انه علي التكفين انه - وبحسب العادة المتبعة- وضع يوسف الرامي ريشة صغيرة ناعمة تحت انف المسيح للتأكد من وفاة الشخص ، فلم تتحرك الريشة ولكن ما بدا يوسف ونيقوديموس في عملية التكفين حتي رأيا عين المصلوب تتحركان وحينئذ سبحاه علي الفور : " قدوس الله قدوس القوي ، قدوس الذي لا يموت " ، ويرى الكثير من أباء الكنيسة انه إلي هذا الموقف ترجع هذه التسبحة والمسماة الثلاث تقديسات (تريس اجيون) ..

وان كن دليل انه لا يموت له دلالات عديدة غير هذا الموقف فهو القائم كانه مذبح ، وهو الكاهن والذبيحة فوق الصليب ، وهو الراقد في القبر حيا .. وهو المخلص الذي حرر الذين قبض عليهم في الجحيم .. المغارة التي دفن فيها السيد :

هي قبر ملك خاص ليوسف الرامي حفره ليدفن فيه بالقرب من المدينة المقدسة ، مثل كثيرين في زمانه ، ويبدو أنها كانت حديثة العهد حفرها خصيصا في الصخر لتكون مقبرة العائلة ولم يكن احد قد دفن فيها بعد " وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان ، وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه احد قط " (يوحنا ١٩ : ٤١) أما القديس متي فيقول : " ووضعه في قبره الجديد الذي كان قد نحته في الصخرة ، ثم دحرج حجرا كبيرا علي باب القبر ومضي " (متي ٢٧ : ٦٠) والمغارة التي من هذا النوع مكلفة جدا ، ولم يعتد علي فعل ذلك ألا الأغنياء فقط ، وكانت تقام بطريقة غاية في الإتقان وفضلا عن تنسيقها البديع من الداخل فهي مصممة ضد اللصوص والوحوش . وهكذا تمت النبوة : " وجعل مع الأشرار قبره ، ومع غني عند موته ، علي انه لم يعمل ظلما ولم يكن في فمه غش " (اشعيا ٥٣ : ٩) .

وكانت القبور العادية عبارة عن حجرات مبنية توضع داخلها الأجساد ولكن تحت أرضية الحجرة وهذا يفسر لنا قول السيد المسيح عن الكتبة والفريسيين المراءون أنهم يشبهون قبورا مبيضة والناس عليها ماشون ، ونوع آخر من القبور ينحت أيضا في الصخر ولكن عبارة عن ممر في الوسط يتفرع منه فتحات علي قدر جسم الميت تسمى نواويس (جمع ناووس) أي قبر صغير ، هذا في الآرامية ، بينما تسمى في العبرية كوكيم (جمع كوك) .
الحجر علي قم القبر :

٤ - عندما دفن غمائل لأكبر عملوا له حريقة طيب و عطور ٨٠ رطلا ، فلما سألوا الرابي انكليوس عن ذلك قال : أليس

غمالائيل أفضل من ١٠٠ رطل (مثل أسا الملك) ؟ !

كان هذا الحجر الثقيل أما عبارة عن اسطوانة مثل حجر الطاحونة يدحرج حتي يأتي مقابل فتحة القبر مع وجود هبوط تحته يستقر فيه حتي لا يمكن دحرجته بسهولة وإلا لكانت النسوة التي أتين إلي القبر قد حركته بسهولة ، ولكنهن بحثن عن يدحرجه لهن " وباكرا جدا في أول الأسبوع أتين إلي القبر إذ طلعت الشمس ، وكن يقلن فيما بينهن : " من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر ؟ " (مرقس ١٦ : ٢ ، ٣) .
وكان القبر في بستان في الجلجثة داخل سياج ، وهكذا حاول هذا الرامي الفاضل أن يكرم المسيح في مماته ، حيث لم يقدر أن يجامله في حياته ، حيث يلاحظ أن أحدا من عائلة المسيح بالجسد لم يكن موجودا خلال تلك الأحداث .. ولعل دفن يوسف لجسد المسيح كان أعظم عمل جاء إلي الحياة لأجله !!
أخبار أخري عن يوسف الرامي ^١ :

ورد عنه في التقليد أن فيلبس عندما بشر في بلاد الغال (فرنس * كان يوسف الرامي معه مثل تلميذ مخلص ، وقد أرسله فيلبس إلي انجلترا ومعه اثنا عشر من الاكليروس ليبشروا هناك ، وقيل أن ملك انجلترا لم يؤمن بالمسيح ، غير انه وهبهم جزيرة تسمى الآن " جلاستوري " هناك بني كنيسة حيث دفن لفيها لاحقا ، هكذا وكما دفن المسيح في قبره وهبه المسيح شرف أن يدفن في بيته (الكنيسة) .
¹ - الفريد بتلر تحت يوم ١٧ مارس .

الفصل الثامن عشر: نيقوديموس

ذكر نيقوديموس ، والذي أشارك مع يوسف الرامي في دفن جسد المسيح ٣ مرات في العهد الجديد، فهو الذي أتى إليه ليلا ، وهو الذي علي استحياء عاتب مجلس السنهدريم علي التسرع في الحكم علي يسوع ، وأخيرا اعظم ما قام به في حياته وهو دفن المسيح...

والأسم نيقوديموس يعني "نقي الدم" وهو أسم كان شائعا في القرن الاول الميلادي ، غير أن الانجيل لم يذكر شخصا سواه بنفس الاسم ، اما التلمود فقد ذكر شخصا يدعي "نيقوديموس بن جوريون" وقد كان غنيا جدا وعضوا ايضا في السنهدريم وهو شقيق المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" ، ويرى البعض انه كان ربما كان نفس الشخص موضوع دراستنا ، غير أن التلمود يذكر أن ابنة نيقوديموس شقيق يوسفوس ، والتي كان مهرها مليون قطعة ذهبية، شوهدت في حصار اورشليم سنة ٧٠م تجمع روث البهائم لعلها تجد فيه بعضا من حبات القمح تسد به رمقها.. وهو الحصار الذي هلك فيه نيقوديموس وعائلته ، فهل نسب كل هذا الخزي الي نيقوديموس رفيق يوسف الرامي لأنه أصبح مسيحيا؟؟

نيقوديموس رئيس لليهود ومعلم لإسرائيل:

كان نيقوديموس يضع كل رجائه في أنه نسل إبراهيم ولكن السيد المسيح نبهه الي أنه لن يخلص أحد إلا من خلال الصليب .. وفي حديث المسيح معه وردت درة الآيات ، وأعظم آيات الكتاب المقدس: " هكذا أحب الله العالم حتي بذل ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به . بل تكون له الحياة الابديه"... ولماذا هي أعظم آيات الكتاب المقدس؟؟

هكذا	= خلاصه الأمر
أحب	= أعظم عمل
الله	= أعظم كائن
العالم	= أوسع شئ
حتي بذل	= أعظم تضحية
ابنه الوحيد	= أعظم ما عنده
لكي لا يهلك	= أقسى عقوبه
كل من يؤمن به	= أعظم استجاباه
بل تكون له الحياة الابديه	= أعظم مكافاه

إذن هي اعظم ايه

كيف ظهر نيقوديموس في عمليه الدفن؟

هل تشجع لما رأي يوسف الرامي يظهر، هل تشجع عندما رأي يوسف يتجاسر ويتجه الي ببيلاطس يطلب الجسد المقدس، هل خدم يوسف الرامي المسيح المدفون من خلال نفوذه ، بينما خدمه نيقوديموس من خلال غناه .. هل يمكن لكل انسان ان يخدم المسيح من خلال موهبته.

أخبار أخرى عن نيقوديموس:

يرد في التقليد انه اعترف جهرا بالمسيح مخلصا وفاديا ، ونال سر المعموديه المقدس علي يد القديس بطرس، وما ان سمع السنهدريم في اورشليم حتي اصدروا قرارا بطرده من مركزه ونفيه الي اورشليم وقد فقد ثروته مع انه كان من الاثرياء ولكنه استخف بكل ما يملك مقارنة بكنز الانجيل

انجيل نيقوديموس:

هو واحد من الكتب التي يطلق عليها " كتابات ابو كريفا العهد الجديد" ويرجع نصه الي القرن الخامس الميلادي وهو عبارته عن تجميع و اقتباس من كتابات سابقه متفرقه وربما كان قد جاء ردا علي مقال

منسوب لبيلاطس البنطي ضد المسيح، والنص عباره عن قصه منسوبه الي نيقوديموس يروي فيها محاكمه المسيح و موته ودفنه ونقاش السنهدريم حول القيامة...
ويرد في الكتاب ان الجميع أختبأوا عند الصليب بإستثناء يوسف و نيقوديموس ، ولما علم اليهود بأن نيقوديموس يحب يسوع سخرؤا منه قائلين " لتكن لك معه حصه في الدهر الآتي " فأجاب " آمين.
آمين.آمين" وذكر في الكتاب الأبوكريفي أن اليهود حبسوه في السبت تمهيدا لمحاكمته، غير انهم لم يجدوه في الزنزانه بعد يومين..
هكذا تعين نيقوديموس مع يوسف منذ الازل لخدمه جسد الرب و اكرامه.